
أختاه
إني أحبك في الله
د/ نجاة حافظ
مصدر هذه المادة :
الكتيبات الإسلامية
www.ktibat.com
قسم النوادر

أختاه...

إني أحبك في الله...

* قال رسول الله ﷺ:

«إذا أحب الرجل أخاه، فليخبره أنه يحبه»[١].

* وقال ﷺ:

«لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[٢].

* وقال ﷺ:

«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا، وشبك بين أصابعه»[٣].

فلا تَنسيني يا أختي من دعائك وتقبلي حبي ودعائي من قلبي المحب لك في الله ولله.

---

(١) رواه أبو داود والترمذي وقال: حسن.
(٢) رياض الصالحين بسند صحيح.
(٣) رواه الشيخان والترمذي.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾.

﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾.

﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى أزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته كما صليت وسلمت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد.

أختي في الله...

سلام الله عليك ورحمته وبركاته...

فما أجمل الجلوس مع نفس مؤمنة تسبح في ملكوت الله! مستشعرة معنًى عظيمًا يفتح لها أوسع أبواب الجنان ويذهب عنها الألم والحسرة في يوم هي أحوج ما تكون فيه إلى من يقيها حر شمس محرقة، وعَرَق متفاوت، ورجفة مؤلمة..

ذلك الباب أختي الحبيبة هو "باب الحب في الله ولله" والذي هو أوثق الروابط وأدومها..

* قال النبي ﷺ:

«**أوثق عرى الإيمان الحب في الله، والبغض في الله**»[(١)] والحب في الله له فضل عظيم وثمرات جليلة.

* روى ابن حبان في صحيحه:

«**إن الله يقول: وجبت محبتي للمتحابين فيَّ، وللمتجالسين فيَّ،**

(١) رواه الطبراني.

وللمتزاورين فيَّ، وللمتباذلين فيَّ».

* وقال النبي ﷺ:

«**إن الله يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلى ظلي**»[1].

كما رتَّب النبي ﷺ دخول الجنة على أساس أن يحب المؤمن لأخيه المؤمن ما يحب لنفسه.

* روى الإمام أحمد عن زيد بن أسد القشيري قال: قال لي رسول الله ﷺ:

«أَتُحِبُّ الجنة؟». قلت: نعم. قال: «**فأحب لأخيك ما تحب لنفسك**».

* عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال:

"من أحب في الله وأبغض في الله ووالى في الله وعادى في الله فإنما تنال ولاية الله بذلك، ولن يجد عبدٌ طعمَ الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك، وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا، وذلك لا يجدي على أهله شيئًا"[2].

وقوله: من أحب في الله- أي أحب المسلمين والمؤمنين جميعًا؛ لأن الله يحبهم فأحبهم من أجل ذلك.

وأبغض في الله- أي الكفار والفاسقين والمنافقين، أبغضهم لأن

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه ابن جرير.

الله يبغضهم وإن كانوا من أقرب الناس إليه.

* قال -تعالى-: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آَبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1].

من هنا – أختي الحبيبة – في أي مكان كنتِ كان الدافع لكتابة هذه الكلمات هو الحب في الله ولله والتي أبدأها بقولي:

إني أحبك في الله

نعم أحبك في الله ولله، سائلة المولى - عز وجل- أن يكون حديثي معك عبر هذه الصفحات في الله ولله فنكون بإذنه -تعالى- ممن اجتمع على حبه والتقى عليه عاملين بما جاء في كتابه الكريم.. مهتدين بهدي نبيه -عليه الصلاة والسلام- فنحشر بإذنه -تعالى- في زمرة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا..

* فقد أخبرنا النبي ﷺ: «**أن المرء مع من أحب**»[2].

* وقال ﷺ:

«**ليبعثن الله أقوامًا يوم القيامة في وجوههم النور على منابر**

(١) سورة المجادلة: الآية: ٢٢.

(٢) رواه الشيخان.

اللؤلؤ يغبطهم الناس، ليسوا بأنبياء ولا شهداء...» فجثا أعرابي على ركبتيه فقال: يا رسول الله، خِلّهم (صِفْهُم) فَعَرَفَهُم قال:

«هم المتحابون في الله من قبائل شتى وبلاد شتى يجتمعون على ذكر الله ويذكرونه»(١).

*** حقيقة الحب في الله:**

أختي الحبيبة... وحتى نكون على بينة من الأمر بالحب الذي ينجي من عذاب الله والحب الذي يوجب غضب الله أذكر لك ما ذكره ابن القيم -رحمه الله- في ذلك حيث يقول:

"وهاهنا أربعة أنواع من الحب يجب التفريق بينهما، وإنما ضل من ضل لعدم التمييز بينها..

أحدها: محبة الله ولا تكفي وحدها للنجاة من عذاب الله والفوز بثوابه، فإن المشركين وعباد الصليب واليهود وغيرهم يحبون الله.

الثاني: محبة ما يحب الله، وهذه هي التي تدخله في الإسلام وتخرجه من الكفر وأحب الناس إلى الله أقومهم بهذه المحبة وأشدهم فيها.

الثالث: الحب لله وفيه، وهي من لوازم محبة ما يحب الله ولا يستقيم محبة ما يحب الله إلا بالحب فيه وله.

الرابع: المحبة مع الله وهي المحبة الشركية وكل من أحب شيئًا

(١) رواه الطبراني.

مع الله لا لله ولا من أجله ولا فيه فقد اتخذه ندًا من دون الله وهذه محبة المشركين.

وبقي قسم خاص ليس لنا نحن فيه وهي المحبة الطبيعية وهي ميل الإنسان إلى ما يلائم طبعه كمحبة العطشان للماء والجائع للطعام ومحبة النوم أو الزوجة والولد فتلك لا تذم إلا إن ألهت عن ذكر الله وشغلته عن محبته".

*** فالمحب لله:**

هو الذي يحب ما يحب لله ويبغض ما يبغض لله، والحب في الله ولله هو الميزان الذي عليه تقوم العلاقات، خاصة أننا مأمورون من الله -تعالى- بأن نكون مخلصين له الدين حنفاء.

وهذا لن يتأتى إلا بأن نجعل حبنا لأي شيء في الحياة نابعًا من حبنا لله تابعًا له لا لأي هوى في النفس.

كما أننا مأمورون بتمام وكمال التسليم له -سبحانه وتعالى- وهذا هو معنى أن نكون مسلمين.. مسلمين في كل شؤون حياتنا لله وحده الذي ليس كمثله شيء.

فيكون حبنا لكمال ذاته العليا هو أسمى مراتب الحب.. لذا وجب علينا تحقيقه في قلوبنا..

فإن تحقَّق:

* نلنا الأمن والطمأنينة؛ إذ الأمن والطمأنينة هما محور الكد والتعب الذي يدور حوله الجهد الإنساني في الحياة.

* حققنا معنى العبودية لله والإيمان الصادق.

- لا إيْمان بلا أخوة، ولا أخوة بلا إيْمان.

* قال النبي ﷺ: «**وكونوا عباد الله إخوانًا**»(١).

وكيف لنا أن نحقق الأخوة بدون حب في الله ولله؟؟!

* كذلك إذا تحقق الإيمان والحب أصبحنا من المؤمنين الذين لا يرغبون لحظة عن ذكر الله ولا ينفكون عن السعي لتحقيق مرضاته بالحب لكل شيء فيه وله.

بذلك تستسلم النفس المؤمنة لخالقها.. بارئها في كل لفظة وفي كل فكرة بل وفي كل هاجس وخاطر.. في كل شؤون حياتها فيتوحد مصدر الأخذ والعطاء والخوف والرجاء فتعيش آمنة مطمئنة لا تخشى ضياع أمل أو حرمان خير..

وهي تؤمن كذلك بأن المؤمن أمره كله له خير وقد وضَّح لنا النبي ﷺ ذلك فقال: «**عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير ولا يكون ذلك إلا للمؤمن؛ إذا أصابته سراء شكر وإذا أصابته ضراء صبر وإن روحه لتنزع من بين جنبيه وهو يحمد الله**»(٢).

أختي الحبيبة...

إن اجتماعنا على حب الله وحده هو الذي سيؤلف بيننا ويحقق الحب الأخوي في الله ولله وبذلك يتوحد مصدر رجائنا وخوفنا فلا

---

(١) رواه الشيخان.

(٢) بسند صحيح.

نرجو إلا الله ولا نخاف إلا إياه..

فيسقط كل اعتبار للبشر مِن حسابنا إلا مَن جرى خوفنا منه مِن منبع خوفنا مِن الله ومَن جرى رجاؤنا فيه مِن فيض رجائنا في الله.

*** لفتات لا غنى عنها:**

أختي في الله...

إن رسالتي إليك تحمل طابع الحب في الله ولله.. ومن الحب لله أن ننصح من نحب وأن نبين له أي ثغرة قد يزل منها فيهلك دون أن يشعر.

ولقد أحببت أن أذكر لك الأمور التي كثيرًا ما نكون في غفلة عنها ظانين أننا نحسن صنعًا..

ومن ذلك – الخوف والرجاء – الذي يجب ألا يكونا نابعًا إلا من خوفنا من الله ومن فيض رجائنا فيه..

ولتوضيح ذلك أذكر لك بعض الأمثلة:

* فإن كنت ابنة وجب عليك محبة والديك؛ لأن الله –سبحانه وتعالى– قد فرض علينا ذلك، ولا يكمل حبنا لله إلا إذا أحببنا له وفيه، وبالتالي عليك بالحرص على طاعتهما في كل أمر إلا ما كان في معصية – فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق – وببذل كل جهد ورجاء لتحقيق رضاهما، وتخافين من ضياع ذلك وعدم تحقيقه..

لأن الله -سبحانه وتعالى- ربط رضاه برضاهما فيكون خوفك منهما نابعًا من خوفك من سخط الله عليك.

ويكون حبك لهما وحرصك على بلوغ رضاهما ورجاؤك لذلك نابعًا من فيض رجائك في الله لبلوغ مرضاته باتباع أمره في ذلك، لا لأنهم قد يؤذونك أو لا يحققوا لك ما تريدين لا.. بل طاعة لله.

* قال النبي ﷺ:

«رضا الرب – تبارك وتعالى– في رضا الوالدين، وسخط الله – تبارك وتعالى– في سخط الوالدين»(١).

* وقال ﷺ: **«لا يدخل الجنة منَّان ولا عاق ولا مدمن خمر»**(٢).

* وإن كنت زوجة فعليك بطاعة زوجك في كل ما يأمرك، إلا فيما كان فيه معصية فلا طاعة..

وأن تجتهدي في طاعته وتبذلي له كل ما في وسعك راجية حصول مرضاته؛ لأن رضا الله عليك مرتبط برضاه عليك.

فيكون حبك له في الله ولله؛ لأنك مأمورة بهذا الحب من الله وليس مقابل أي هدف دنيوي.. فيكون رجاؤك في تحصيل ذلك من فيض رجائك في الله.

---

(١) (الترغيب والترهيب) حديث صحيح.

(٢) (التاج الجامع للأصول) حديث صحيح.

* قال النبي ﷺ: «**أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة**»(١).

وأن تخافي منه، لا لأنه قد يؤذيك أو يطلقك فتطيعينه فيما يغضب الله تعالى.. لا، إن هذا كله بيد الله تعالى.

أختي المؤمنة...

أحبي زوجك في الله ولله، وتفاني في ذلك وابذلي وسعك، وعليك أن تخافي إن لم تطيعيه الطاعة المفروضة عليك.. وتؤدي الحقوق المطلوبة منك والواجبات التي عليك..

وكل ذلك فيما يرضي الله -تعالى- لا فيما يغضبه.. انتبهي أختاه.

* قال رسول الله ﷺ:

«**ثلاثة لا يقبل الله لهم صلاة ولا يرفع لهم إلى السماء حسنة؛ العبد الآبق حتى يعود، والمغضبة لزوجها، والسكران حتى يصحو**»(٢).

* وقال ﷺ:

«**لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذيه قاتلك الله فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا**»(٣).

---

(١) رواه الترمذي.
(٢) رواه ابن حبان.
(٣) رواه الترمذي.

ومن تحتمل منا دعوة كهذه "قاتلك الله"؟؟؟

تأملي أختاه هذه المعاني.. وتدبريها جيدًا وأوفى بحق زوجك واعلمي أن المرأة لو أُمرت أن تسجد لغير الله لسجدت لزوجها كما بلغنا ذلك رسول الله ﷺ.

من أجل ذلك ليكن حبك له خالصًا لله وخوفك منه نابعًا من الخوف من عدم الفوز برضا الله عنك إن لم يرض زوجك عنك...

وإليك بعض الأمثلة:

مثلاً: أنت تعرفين أنه غير راض عنك إذا خرجت إلى الأسواق بدون إذنه، أو إذا عملت عملاً معينًا هو لا يسمح به بل ويغضبه فعله، فإنك إن فعلت ذلك دون علمه ودون إذنه متخذة كل الاحتياطات التي تجعله لا يعلم بذلك ولا يشعر به فأنت آثمة في حقه بل إن الملائكة تلعنك في كل خطوة من خطواتك تلك...

لأن خوفك في هذه الحالة نابع من خوفك من شخصه.. نابع من خوفك أن يؤذيك فيعرضك لأي سوء إذا علم بذلك، وهذا خطأ كبير غفلت عنه وارتكبت معصية في حق الله وفي حق زوجك؛ لأن الله -تعالى- أمرك بطاعته في حضوره وغيابه، فإن عصيته في غيابه لعنتك الملائكة وحل عليك غضب الله وسخطه، فكيف يكون خوفك منه نابعًا من خوفك من الله؟؟؟

وها أنت قد أرضيته في الظاهر وأغضبت الله؟؟؟

ومن الأخطاء التي كثيرًا ما نقع فيها هي طبيعة العلاقة مع والدة الزوج وأهله وهذه العلاقة تعتبر بابًا من أوسع أبواب الجنان، إن

استطعت أن تملكي مفتاحه فقد فزت بالأجر الجزيل..

فعليك أن تُيسري لزوجك برَّ والديه وصلة رحمه خاصة والدته؛ لأن رضا الله – عز وجل– عنك في رضا زوجك عنك.

ورضا الله – عز وجل– عن زوجك في رضا والدته عنه، فهل ترضين هلاكه وسخط الله عليك بإبعاده عن والدته وعدم حثه على برها وصلة رحمها... فاحذري أختاه ذلك.

* فإن «**الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله**»(١) صدق رسول الله ﷺ.

واحرصي على نيل رضا والدته ليتحقق رضا الله عنكما جميعًا.

رضا الله عن الزوج = رضا والدته.

رضا الله عن الزوجة = رضا الزوج

يا لها من معادلة سهلة.

* رضا الوالدة = رضا الزوج = رضا الله.

* عن عائشة –رضي الله عنها– قالت:

"سألتُ رسول الله ﷺ:

أي الناس أعظم حقًا على المرأة؟ قال: «**زوجها**» قلت: فأي الناس أعظم حقًا على الرجل؟ قال: «**أمه**»"(٢).

(١) متفق عليه.

(٢) رواه الحاكم.

فاستحضري — أختي الحبيبة — أي عقوبة ستسببينها لنفسك وأي سخط ستجلبينه لها إن لم تحققي ذلك.

فليكن جهدك في تحقيق ذلك خالصًا لله وبذلك تنالين رضاه – سبحانه وتعالى– بهذه الطاعة وهذا الإخلاص، ويقال لك في ذلك اليوم المشهود: "ادخلي من أي أبواب الجنة شئت.."

ويكون خوفك من زوجك نابعًا من خوفك من الله فتطيعيه في السر والعلانية في وجوده وغيابه كما أمرك الله –تعالى–.

قال –تعالى–: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[١].

فالعلاقات كلها يجب أن تبنى على أساس واحد — لله — وما سوى ذلك فهو للشيطان، فليس هناك سوى سبيلين:

١– سبيل الله، وهذا يتطلب الحب في الله ولله، وهنا عليك أن تتحلي بأسمى صفة يجب أن تكون بين المؤمنين ألا وهي الذلة. قال –تعالى–: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[٢].

فتأملي المعنى يا — أختي — فالذلة هي التواضع وخفض الجناح للمؤمنين ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٣].

وقد جاءت هذه الصفة في القرآن مدحًا للمؤمنين و لم تمدح في

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١٥٣.

(٢) سورة المائدة: الآية ٥٤.

(٣) سورة الشعراء: الآية ٢١٥.

غير هذا الموضع أو هذه الحال وهذا السبيل الأوحد الذي وصانا به رب العالمين.

٢- سبيل الشيطان الذي يتأتى منه الكبر والحق والحسد والعزة في غير موضعها..

نعم كل هذه المشاعر لا تتأتى إلا من النفس والشيطان وليس لله في ذلك نصيب.. فيأتي الكيد من الشيطان ومن الإنسان ذاته!!

وللتوضيح أقول: إنه قد أصبح كثير من الناس وكأنه إله نفسه مُشرِّع لها مطيع أمين لهواه يحب ويكره كما يحلو له.. ناسٍ أن هناك من أوجده ومن هو أحق بأن يأمره وينهاه ويُعرِّفه كيف يحب؟ وكيف يكره؟ يُعرفه من هم الذين يقترب منهم أو يبتعد عنهم؟ ومتى وكيف يتم ذلك؟ وكيف يزول الحب أو الكره وإلى أي شيء يتبدل؟

ورحم الله البوصيري حين يقول:

وخـــالف الـــنفس والشـــيطان واعصـــهما

وإن همـــا محَّضـــاك النصـــح فـــاتهم

فسبيلا النفس والشيطان هما اللذان يبذران في القلب بذور الكره والكبر والحسد والحقد.

أختي... احذري أن يستدرجك الشيطان إلى ذلك.. وجاهديه وابتغي سبيل الرشد.. وابذلي الحب في الله ولله وتواضعي للمؤمنين.. ولا تكوني ممن يتبع سبيل الغي فتكوني ممن قال الله -تعالى- فيهم: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ

بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾[١].

فمصير المتكبرين هو أسوأ مصير..

قال ﷺ: «**يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر[٢] في صور الرجال يغشاهم الذل في كل مكان فيساقون إلى سجن في جهنم يسمى بولس تعلوهم نار الأنيار يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال[٣]**»[٤].

ولعلك تتساءلين ما مناسبة ذكر الكبر هنا؟

أقول: لأن الكبر سبب تمزيق كل العلاقات الأخوية.. بل وسبب كل كره يأتي للنفس.. حيث إنها غالبًا ما تكره من يأتيها ناصحًا وموجهًا فتكره النزول عند الأمر وتجادل جدلاً عقيمًا. وكأن الذي جاءها ناصحًا إنما ينصح من فكره ويفرض عليها وجهة نظره.. أليس هو متبعًا لمنهج أنزله الله -تعالى- وأمرنا باتباعه؟... ألا تدري أنها ترد المنهج الحق لا ترد الإنسان الذي ينصحها.. ويوصيها ويدلها على طريق الخير؟.

قال رسول الله ﷺ: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال**

(١) سورة الأعراف: الآية ١٤٦.
(٢) النمل الأحمر.
(٣) سائل صديد وقيح أهل النار.
(٤) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

ذرة من كبر» قال رجل: يا رسول الله، إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنة، قال: «**إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس**»(١).

وبطر الحق: أي إنكار الحق ورده على قائله ترفعًا وتكبرًا وعدم الإذعان له.

غمط الناس: احتقارهم. وفي رواية: «**غمط الناس وتعييبهم**». فلا يجوز لمسلم أن يستكبر وأن يرد الحق على من جاءه به كارهًا إياه.. وإلا فهو يكره الحق..

ويرى نفسه خيرا من غيره طاعة وعبادة ولا يريد من يصحح له مسيرته.. قال -تعالى-: ﴿**فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى**﴾(٢).

وقال: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا**﴾(٣).

* روي أن رجلاً ذُكر بخير للنبي ﷺ فأقبل ذات يوم فقالوا: يا رسول الله، هذا الذي ذكرنا لك، فقال: «**إني أرى في وجهه سفعة من الشيطان**» فسلَّم ووقف على النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ: «**أسألك بالله حدثتك نفسك أن ليس في القوم أفضل منك؟**» قال: اللهم نعم(٤)... فلنتقي الله أختاه.. ولنبحث في خبايا نفوسنا.

(١) رواه مسلم.
(٢) سورة النجم: الآية: ٣٢.
(٣) سورة النساء: الآية ٤٩.
(٤) (التاج الجامع للأصول) بسند حسن.

عاقبة الكبر:

ولا تنسي – أختي الحبيبة – أن أول معصية في السماء كان سببها الكبر وعدم الإذعان للأمر..

لم يكفر إبليس بالله.. ولم ينكر وجوده ولم ينكر ألوهيته، لكنه امتنع عن تنفيذ أمر وجه إليه وكان وراء ذلك كبر في النفس فطرد بذلك من رحمة الله –تعالى–.

قال –تعالى–: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾[1].

وعلى هذا فكل من يتصرف بتصرف إبليس ويقف موقفه أمام أي أمر رباني يكون مصيره ذلك تمامًا، إن لم يتب ويقلع إقلاعًا تامًا وكاملاً عن هذا المرض الفتاك.

تخيلي أن رب العالمين يسألك لماذا لم تستجيبي لندائي ولأمري ولقولي عندما سمعتيه على لسان فلانة..؟ هل ستقولين أنا خير منها وإنها ليست من مستواي المادي أو العلمي؟.. ومن هي لتصحح لي؟ أين هي مني؟ وأين علمها من علمي؟ لو فعلنا ذلك فهل اختلف موقفنا عن موقف إبليس في شيء؟!.. فلنتحاشَ ذلك ولنرجع عن هذه العادات وهذه العزة التي تغضب الله ولا ترضيه.. وكثيرًا ما يحدث هذا بين الأزواج.

أختي... فلنتق الله ولننظر إلى القول دائمًا لا إلى قائله فلا نرد

(١) سورة الأعراف: الآية ١٢.

النصح مهما كان قائله كما لا نرد ما جاء به الكتاب والهدي النبوي. إذ (لا اجتهاد مع النص) بذلك نبتعد عن الخلافات التي من شأنها إيجاد الكُره والحقد في القلوب وتؤدي إلى الفرقة وتمزق العلاقات.

* وأما بالنسبة لعلاقتك بأخواتك المسلمات، في أي مكان كُنَّ فيجب أن تكون نابعة من حبك لله، تحبينهن حسب طاعتهنّ لله لأن الله يحبهن.. وأن تبغضي فقط الفعل السيء الذي يغضب الله تعالى.. فلا تبغضي أختك لشخصها بل عليك أن تبذلي جهدك لإصلاحها بالنصح والحكمة والموعظة الحسنة.. متصورة كما لو كنت أنت مكانها.. ألا تتمنين أن تجدي من يسامحك ويقف إلى جانبك يأخذ بيدك نحو طريق النور.. والرشاد؟..

أما إن بَقِيَتْ عاصية ومصرة على المعصية رغم النصح المباشر وغير المباشر وبقيت على إصرارها بارتكاب ما حرم الله فيجب عليك المفارقة، لأنها أصبحت أختًا للشيطان.. راضية بمعصية الله.

ميزان الحب في الله:

أختي الحبيبة.. ميزان الحب في الله ولله معناه أن تحبي الآخرين بمقدار حبهم لله وطاعتهم لله ونزولهم عند أمره وتبغضينهم بمقدار بعدهم عن الله واستعلائهم على أمره.

وبذلك تحققين معنى حبك وإخلاصك لله.

* قال رسول الله ﷺ: «**من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان**».

وهكذا أختي الحبيبة إذا توحد حبنا وبغضنا.. توحد مصدر خوفنا ورجائنا.. توحد مصدر أخذنا وعطائنا.. تخرجنا من مدرسة واحدة، وتلقينا منهجًا واحدًا، وأطعنا آمرًا واحدًا، ونزلنا عند أَمْرِ نَاهٍ واحد فتنمو بذور الحب في قلوبنا وتذوب بذور الحق والكره.. وتنتهي حظوظ النفس والشيطان من بيننا التي تتأتى من كل سبيل غير سبيل الله.. متمسكين بمفتاح الحب في الله ولله..

فنغلق بذلك بابًا من أوسع الأبواب التي يتأتّى منها إبليس فينزغ بيننا... ونُضيِّع فرضًا لا تغني عنه صلاة ولا صيام ألا وهو الإخاء في الله..

* قال –تعالى–:

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾[1].

وقد جاء ذلك التوجيه الرباني منهجًا في جميع الأديان من قبلنا كذلك، قال –تعالى–:

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾[2].

(١) سورة آل عمران: الآية ١٠٣.

(٢) سورة الشورى: الآية ١٣.

أختي الحبيبة..

فلنعمر قلوبنا بالحب الأخوي لكل من نعرف ومن لا نعرف من المسلمين والمسلمات.. نعمره بالحب في الله ولله.

حقيقة الإخاء:

وهل الإخاء في الله والحب في الله أن تحبي فقط من توافق هواك هواها وتكرهي غيرها بسبب حظوظ النفس كما تحبين أنت وبميزانك وليس بميزان الحق؟!

توبة وعودة:

أختي الحبيبة... فلنبدأ مراجعتنا من جديد كما يأمرنا الله -تعالى- ضارعين له -سبحانه وتعالى- سَائِليه المغفرة لنا ولكل من سبقنا على هذا الطريق.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾(١).

وراجييه ألا يجعل في قلوبنا غلا للمؤمنين والمؤمنات.

﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾(٢).

فإن تحقق ذلك، نلنا ثمرات عظيمة وجليلة أذكر منها:

١- بدأنا نُحلي أنفسنا بصفة من أسمى صفات أهل الجنة. قال

(١) سورة الحشر: الآية ١٠.

(٢) سورة الحشر: الآية ١٠.

-تعالى-: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا﴾[1].

لذا وجب علينا البعد عن كل ما من شأنه أن يسبب بعدًا وجفوة فيما بيننا...

قال الإمام البنا -رحمه الله-: "ونتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه".

٢- استبشرنا بأن نكون من أهل منابر النور الذين يغبطهم النبيون والشهداء...

قال رسول الله ﷺ: «**إن من عباد الله لأناسًا ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله تعالى**» قالوا: يا رسول الله، تخبرنا من هم؟ قال: «**هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها، فوالله إن وجوههم لنور وإنهم لعلى نور، لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس، ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون**»[2].

٣- أظلنا -سبحانه وتعالى- في ظله يوم لا ظل إلا ظله.

قال ﷺ: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله...**».

وذكر: «**اثنان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه**»[3].

---

(١) سورة الحجر: الآية ٤٧.

(٢) رواه أبو داود.

(٣) حديث صحيح.

لذا أختي الحبيبة... فلنحذر الشيطان ولا نتركه يستدرجنا أمام مقاييس وموازين دنيوية وحظوظ وأهواء شخصية..

ولنقاومه ولا نستسلم له فيلهو بنا كالكرة.. ويُسول لنا كما يريد..

فالاتباع الاتباع أختي الحبيبة، واسمعي لقول الله -تعالى-:

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾(١).

فلنتبع الله بكل حب وخضوع ورضا وطواعية..

قال ابن القيم: "فمن أحببته و لم تكن خاضعًا له لم تكن عابدًا له، ومن خضعت له بلا محبة لم تكن عابدًا له حتى تكون محبًا خاضعًا"(٢).

فالعبادة الحقة تتم بالاتباع الحق..

وهذا يتطلب غاية الحب والذل والخضوع لله تعالى، لذا لا يكفي أن نعلم ما كان يعمل الرسول ﷺ، بل أن نعمل بما كان يعمل..

إن العبادة تتطلب إيمانًا، والإيمان حركة وطاقة داخل النفس، وخارجها عمل وسلوك وأفكار ومشاعر، فيصبح الإنسان عالمًا عاملاً من أولي الألباب! حيث يتحول العلم بما أنزل الله إلى رسوله - عليه الصلاة والسلام- إلى عمل وسلوك ومشاعر.. فتترجم

(١) سورة آل عمران: الآية ٣١.

(٢) الفكر التربوي عند ابن القيم.

المعلومات إلى إيمان..

فالقلب المؤمن يكون في كل لحظة من لحظات حياته مرتبطًا بالله.. لأن الحياة كلها بل الوجود كله مرتبط في كل لحظة.. وفي كل حالة بالله.. فيكون الارتباط خوفًا وطمعًا.. رجاءً وخشية..

فالحياة.. والموت.. والرزق.. والأحداث سواء كانت سراء أو ضراء والغيب من صنع الله.. هذا في الدين.

كذلك فإن البعث والحساب والثواب والعقاب بيد الله، فأي شيء ممكن أن يتعلق به الإنسان بعيدًا عن الله وعن علمه وقدرته؟؟

ومن ثَمَّ يعيش القلب المؤمن في ظلال القرآن حياته كلها مع الله في كل حالاته.. مستسلمًا طائعًا مفوضًا أمره إلى الله..

وهنا تنمو بذرة الإيمان في القلب فتؤتي ثمارها على طريق الإيمان.

قال -تعالى-: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1].

ولا تتم العبادة إلا بتمام الطاعة ولا تتم الطاعة إلا بتمام وكمال التسليم لله -تعالى- فتتمثل في العمل والسلوك لا في المشاعر فقط.. وبذلك تتحقق ثمارها وتأتي بالنتيجة المرجوة.

سئلت السيدة عائشة -رضي الله عنها- عن خُلُق رسول الله ﷺ فقالت: «كان خلقه القرآن»[2].

(١) سورة الذاريات: الآية ٥٦.

(٢) حديث صحيح.

وعن أنس ﷺ قال: «كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقًا»[(١)].

وقال -تعالى-: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[(٢)].

وقال -تعالى-: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[(٣)].

فلنجتهد يا أختي الحبيبة، لنتحلى بأخلاق رسولنا الكريم ﷺ ونتأسى بآدابه ومعاملاته.. وعفوه.. وتواضعه.. وسماحته ورحمته.. وغضبه.. وصفحه..

ومتى يتحقق ذلك إن لم يكن في وقت الغضب والإساءة ووقت الزلة.. متى نتأسى به؟!

متى يكون أسوتنا وقدوتنا ونرجع إلى سيرته في كل حادثة ونسأل عما يقوله ويفعله - عليه الصلاة والسلام- في مثل هذه الحالة؟

أليس هو معلمنا بل ومعلم البشرية جمعاء؟!

كيف نجعل من أنفسنا مشرعين ومقننين.. ونحن نهتف ونقول: لا حاكمية إلا لله، ونلوم على الدول والحكومات أنها لم تحكم بالشريعة الإسلامية!

---

(١) متفق عليه.
(٢) سورة الأحزاب: الآية ٢١.
(٣) سورة الحشر: الآية ٧.

لم تحكم بما أنزل الله.. تريدين دولة تحكم بالشريعة أي دولة هذه؟ وأي حكومة تستطيع أن تقيم الإسلام في قلبك؟.. في ضميرك؟ وكيف تلومين على من لم يُقم الشرع.. وعلى من لم يحكم بما أنزل الله؟ كيف وأنت بذاتك ترفضين النزول عند الشرع والاحتكام إليه في شؤون حياتك.. وتستصعبين ما يطلبه منك. ورحم الله من قال: "أقيموا دولة الإسلام في قلوبكم تقم على أرضكم".

كأني بك تقولين كيف؟ وهل أنا كذلك؟ أقول لك: نعم.. لأنك تستكبرين حتى على من يسدي لك النصح سواء كان من مستواك العلمي أو دون ذلك.. أما عرفت أن «**المؤمنين يسعى بذمتهم أدناهم**».

إننا لو رجعنا إلى معنى الإخاء الحق من خلال الآيات القرآنية والأحاديث النبوية لرأينا اختلافًا واضحًا بين ما نعيشه وبين ما تتطلبه الأُخُوة.. وَلَوَجَدْنا أن أدنى حقوق الأخوة سلامة الصدر الذي به تقوم كل العلاقات والمعاملات عاجزين عن تحقيقه.. فما الذي حققناه من هذه المعاني؟

أختي الحبيبة...

لنقف وقفة رحيمة بأنفسنا أمام الله وأمام أنفسنا نجاهدها ونلزمها بكتاب الله -تعالى- وسنة نبيه - عليه الصلاة والسلام- تاركين ما سوى ذلك من اجتهادات.... تاركين هذه الأقوال التي كثير ما تتردد على ألسنتنا:

هذا يناسبني وهذا لا.. إني أرى أن ذلك أفضل من غيره... أنا أدْرَى بالذي ينفعني والذي يصلح لي....

وكل ذلك بمقياس البشر لا مقياس الله، لنترك هذه المقولات جانبًا فليس لها محل من الشرع فالتكاليف واحدة والفروض واحدة وكلها واضحة وضوح الشمس ونحذر أن نكون ممن يقدم رأيه وقوله على قول الله ورسوله، قال -تعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[١] ولا نتمسك برأينا وقولنا أمام قول الرسول ﷺ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾[٢].

ولنتفكر في قول الله -تعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾[٣].

الإسلام = الاستسلام الكلي لله:

إن الله -جل شأنه- لم يخلقنا عبثًا، ولم يتركنا لاجتهاداتنا وطلب منا الدخول في السلم كافة..

١- فقبل أن نُخلق ونؤمر بتحقيق ذلك في قلوبنا وجوارحنا وفيمن حولنا.. وضع لنا -سبحانه وتعالى- منهجًا تامًا كاملاً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لئلا يكون لنا حجة في

(١) سورة الحجرات: الآية ١.
(٢) سورة الحجرات: الآية ٢.
(٣) سورة البقرة: الآية ٢٠٨.

تقصير أو عدم اتباع لأي أمر. قال -تعالى-: ﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾(١).

٢- وقبل أن نؤمر بتحسين علاقاتنا وتحديد موقفنا تجاه غيرنا ومحاسبتنا لهم بل وفي درجة الحب والكره تجاههم، وضع لنا ميزانًا وجب علينا التحاكم إليه في كل ما نختلف فيه لئلا يؤدي إلى فرقة.. وقد نفي الإيمان عمن يرفض ذلك..

قال -تعالى-: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾(٢).

وقال -تعالى-: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾(٣).

٣- وقبل أن نؤمر بأسمى عمل ألا وهو رسالة الخلق، دعوة غيرنا إلى عبادة الله وتحقيق معنى ومنهج لا إله إلا الله على الأرض ومع أن هذا الأمر هو أسمى ما كلف الله به عباده إلا أنه -سبحانه وتعالى- قد وضع لنا منهجًا وأمرنا أن ندعو من خلاله وعلى ضوئه وعلى بصيرة منه كما يريد هو -سبحانه وتعالى- لا كما نريد نحن، وكما يرى هو لا كما نرى نحن، ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة، فقد أمره -سبحانه وتعالى- ووجهه إلى ذلك قائلاً: ﴿قُلْ

(١) سورة الرحمن: الآيات ١-٤.
(٢) سورة النساء: الآية ٦٥.
(٣) سورة النساء: الآية ١٣٥.

هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾(١).

فهذا القول للرسول ﷺ ولكل من اتبعه وسار على هديه، ومن هذه الآية ندرك حقيقة أنفسنا وأن ليس لنا من الأمر شيء إلا الاتباع والتنفيذ.. والاستقامة على ما أمرنا.. كما أمرنا، قال –تعالى–:

﴿وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾(٢).

﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾(٣).

فالاستقامة تكون في كل ما جاء به الإسلام، من السواك حتى الجهاد..

الاستقامة في تعاملنا وفي سلوكنا وفي دعوتنا لتحقيق لا إله إلا الله، فإننا إن بدأنا بلا إله إلا الله، انتهينا إليها بلا شك.

فلنبتعد عن كل ما قد يسبب الفرقة والمشاحنات التي أساسها الخلافات.. فإن الله –تعالى– عندما أمرنا بالتزام المنهج ودعانا إلى تحقيقه في أنفسنا وفيمن حولنا لم يفعل ذلك إلا وهو يعلم ما يصلحنا جميعًا.. فجاء الأمر واحدًا للجميع فكان رحيمًا بنا فلنتأسى بذلك ونكون رحماء بعباده، نتعامل كما يعاملنا الله –تعالى– بأخلاقه لا بأخلاقنا.

---

(١) سورة يوسف: الآية ١٠٨.

(٢) سورة الشورى: الآية ١٥.

(٣) سورة هود: الآية ١١٢.

جاء في الحديث: «**الخلق عيال الله وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله**» صدق رسول الله ﷺ.

نعم، فالخلق عيال الله وهو أعلم بهم فالأمر يرجع إليه وما علينا إلا تنفيذ كل ما من شأنه إصلاح العباد.. كما أوصانا بذلك -سبحانه وتعالى- فمَن الأعلم، نحن أم الله؟؟

﴿**قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ**﴾(١).

حاشا لله فهو الأعلم بضرورة الرفق والرحمة والعفو للعباد؛ لأنه أعلم بضعفهم وعجزهم.. أعلم بكل ما يسلط عليهم من عوامل تفسدهم أو تعوقهم سواء داخل كيانهم أو من خارجه ﴿**أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾(٢).

أعلم كيف يقعد الشيطان لهم كل مرصد.. وكل طريق وقد أخبرنا -سبحانه وتعالى- عن ذلك. قال -تعالى-: ﴿**لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾(٣).

أعلم كيف أن إبليس جاد في إغواء آدم وذريته بدافع الحقد والحسد..

أعلم كيف أن ابن آدم بناء واهٍ سرعان ما يسقط إذا أفلت منه زمام الحبل الذي يصله بالله -تعالى-؛ لأنه ضعيف عن الاحتفاظ

(١) سورة الحجرات: الآية ١٦.

(٢) سورة الملك: الآية ١٤.

(٣) سورة الأعراف: الآية ١٦.

بالتوازن السليم إلا بِمَعِيَّة الله -تعالى- الدائمة له(١).

فإن الشيطان لن ينفك عن ذلك حتى يوم البعث..

عن أنس رضي الله عنه قال: أن رسول الله ﷺ قال: «**لما صور الله آدم في الجنة تركه ما شاء الله فجعل إبليس يطيف به ينظر ما هو فلما رآه أجوف عرف أن الله خلق خلقًا لا يتمالك**»(٢).

انظري — أختي الحبيبة — حال إبليس مع آدم. نعم، لما رآه أجوف وخالي الباطن عرف أنه خلق لا يتمالك ولا يملك نفسه عن الشهوات لحاجته إلى سد جوفه فيكون ضعيفًا بطبعه. ﴿**وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا**﴾(٣). ولكن الله بحكمته ورحمته وضع فيه عقلاً وأنزل عليه شرعًا ليحتفظ بهما.. ﴿**وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ**﴾(٤).

فلنعود — أختي الحبيبة — إلى معلمنا وقدوتنا فهو الذي أمرنا بالاقتداء به أولاً وقبل كل شيء.. ثم بكل من تأسى به من غير تفريط ولا إفراط، فهو المعلم الذي ليس بعده معلم، ولنترك أهواءنا.

قال ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به**»(٥).

وقال ﷺ: «**لا يستكمل مؤمن إيمانه حتى يكون هواه تبعًا لما**

(١) انظر الظلال. (تفسير).
(٢) رواه مسلم.
(٣) سورة النساء: الآية ٢٨.
(٤) سورة هود: الآية ٨٨.
(٥) الأربعين النووية.

جئتكم به»[١].

لذا علينا أن ندع كل قول وكل اجتهاد يخالف قول أو فعل الرسول - عليه الصلاة والسلام-، مهما كان حسنًا من وجهة نظرنا.. لأن هذا هو الذي يؤدي إلى الخلافات والفرقة.. فلم يأت الدين الإسلامي إلا لتوحيد القلوب والصفوف.

قال -تعالى-: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ﴾ [٢].

وقد أحسن من قال: "كل من أخذ باجتهاد إمام أو عالم يقتدي به وهو يعلم مخالفة هذا الاجتهاد لنص صريح أو حديث صحيح، وأصر على ذلك فقد اتخذ قدوته هذا ربًا مشرعًا له من دون الله".

ولنرى كيف نزل الأئمة الأربعة عند هذا الأدب رغم علمهم واجتهادهم فكل واحد منهم قال: "إذا صح الحديث فهو مذهبي، وإذا خالف قولي نصًا صحيحًا فاضربوا به عرض الحائط"!

ولنرى كيف أن بني إسرائيل استحقوا اللعنة والسخط عندما اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله يشرعون لهم فيحلون ويحرمون تبعًا لأهوائهم..

أختي الحبيبة.. لنلتفت إلى أنفسنا لفتة صادقة ونرى أين نحن من الله؟ ومن التحلّي بالأخلاق التي شرعها الله؟

---

(١) أورده السيوطي في الدر المنثور في التغير بالمأثور.
(٢) الشورى: الآية ١٣.

أين نحن من المسارعة لتلبية كل ما يحب ويرضى ولو خالف هوانا لئلا نكون من الخاسرين.. ولنتأمل معًا هذا القول.

قال الإمام ابن القيم -رحمه الله-:

"أخسر الناس صفقة من اشتغل عن الله بنفسه، بل أخسر منه من اشتغل عن نفسه بالناس".

فلنودِّع ساعات بل وسنين الغفلة لنجتهد للساعات التي تتلو.. ولنسارع بالمبادرة.. المبادرة إلى كل ما فيه خير وصلاح ديننا ودنيانا..

قال -تعالى-: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[(١)].

وقال -تعالى-: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾[(٢)].

وقد حثنا على ذلك النبي ﷺ قائلاً:

«**بادروا بالأعمال سبعًا، هل تنتظرون إلا فقرًا منسيًا، أو غنىً مطغيًا، أو مرضًا مفسدًا، أو هرمًا مفندًا، أو موتًا مجهزًا، أو**

---

(١) سورة الحديد: الآية ٢١.

(٢) سورة الحديد: الآية ١٦.

الدجال فشر غائب ينتظر، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر»(١).

فلننظر إلى أعمالنا السابقة إن وجدنا فيها خيرًا فلنحمد الله على ذلك ونسأله الزيادة والثبات، وإن كان غير ذلك فلنستغفر ونُكفِّر عن أخطائنا ونبادر بصالح الأعمال..

قال الأستاذ مصطفى الرافعي -رحمه الله-:

"أيها المؤمن، إن كنت أصبت في الساعات التي مضت فاجتهد للساعات التي تتلو.. وإن كنت أخطأت فكفِّر وامح ساعة بساعة".

وليكن أساس كل عمل في حياتنا لا إله إلا الله محمد رسول الله، فإننا إن بدأنا بها انتهينا إلى ذلك بلا أدنى شك.

فحسن الانتهاء من حسن الابتداء وفساد الانتهاء من فساد الابتداء.

وهكذا نجاهد أنفسنا لنحقق معنى العبودية الحقة والذي يتمثل في الإذلال والإخبات إلى الله.

فآدم عليه السلام أول من حقق معنى العبودية عندما ندم على معصيته وتلقي كلمات التوبة من الله -تعالى- تلقي التائب المعترف بذنبه.

فتاب معترفًا بذنبه متنصلاً (٢) إلى ربه، فتقبل الله توبته.

فلنتبرأ من حظوظ النفس ولنتنصل مما هو مخالف لمحبة الله طمعًا في الحصول على محبته تعالى وبلوغ مرضاته.. غير آسفين على

(١) رواه الترمذي وقال: حديث حسن.
(٢) تنصل من ذنبه: تبرأ.

ضياع حظ نفس أو شهوة وندعو الله مخلصين:

"اللهم ما رزقتني مما أحب فاجعله قوة لي فيما تحب، وما زويته عني مما أحب فاجعله قوة لي فيما تحب".

أختي الحبيبة..

وبذلك تحققين المحبة الخالصة لله.. وتصبحين من أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ولا تستكثري ذلك يا أختاه..

فالولي: هو كل من وافق الله -تعالى- وأحبه واتبع أمره ونهيه في كل ما يحب ويكره، فيكون بذلك قد والى الله -تعالى- فيحبه الله فلا يمنع عنه عونًا ولا خيرًا ولا فضلاً بل يحفظه من كل سوء ومن كل مخلوق ويحقق له الفلاح في حياته الدنيا والآخرة. قال رب العزة في حديث قدسي:

«من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته»(١).

(١) رواه مسلم.

كما علينا أن نقيس أخلاقنا وسلوكنا على ما جاء به القرآن.

فالأخلاق كلها عبادة لله تُقدَّم له وحده خشية وطاعة وتطلعًا إلى رضاه.

كما أن الأخلاق تشمل كل تصرفات الإنسان حتى الهاجس داخل الضمير، ولا يوجد عمل بدون أخلاق.. حتى الصلاة أخلاقها الخشوع والنهي عن الفحشاء والمنكر.

والإيمان هو الأخلاق.

إذ إن الدين هو المعاملة والمعاملة هي الأخلاق وبالتالي الدين (الإيمان) هو الأخلاق..

نعم إن الإيمان الذي يريده المولى - عز وجل- منَّا ليس إيمان عقيدة فحسب.. إنما هو سلوك واقعي.. وإن لم تترجم الأخلاق إلى سلوك عملي فليس للإيمان قيمة..

ومن هنا يحق لنا القول لمن لا يتمثل ذلك: أين الإيمان إذن؟

فأي انحراف عن الأخلاق التي أمرنا بها من رحمة.. وعفو.. وصفح.. وصدق.. ووفاء.. وأدب حديث.. ولين جانب.. وحب في كل شيء.. لكل المسلمين، وتفقد لأحوالهم والتماس الأعذار لهم وعدم التكلف وغض الطرف عن زلاتهم وعدم تتبع عوراتهم وسترهم وعدم إيذائهم.. وغير ذلك كثيرًا كما جاء به القرآن والسنة النبوية الشريفة.

أي انحراف عن هذه الأخلاق هو انحراف سلوكي أخلاقي

ناتج عن قلب لا يخشى الله ولا يرجوه..

عجبًا لمن يظن أن الدين مشاعر في القلوب ليس له ترجمة عملية في السلوك..

لذا – أختي الحبيبة – علينا أن نربي أنفسنا على الإسلام من جديد.. فلنتعرف عليه ولنتفهمه من المصادر الأصلية.. ولنبدأ بالعمل لبناء أنفسنا وبناء بيوتنا كما أراد –سبحانه وتعالى– وكما يحب لا كما نحب نحن، فالإسلام ليس كلامًا يقال ولا أماني في النفس.. قال الله –تعالى-: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾[1].

أختي الحبيبة...

إن الإسلام عقيدة في القلب.. وإيمان راسخ وطاقة لا بد أن تُترجم إلى عمل صالح في واقع الحياة، فالسلوك السوي هو ثمرة الإيمان الصادق. ولا تتم التربية الإيمانية الحقة إلا ببذل الجهد لتحقيق ذلك فتؤتي الثمار المرجوة بإذن الله.

فما من أحد يستطيع أن ينشئ طفلاً على الأخلاق الإسلامية والتي من أهمها الحب في الله ولله وعلى أساس الإيمان الصادق وهو لا يرى القدوة متمثلة أمامه في أُمِّه..

كيف وهو لا طرق سمعه إلا ظنون أمه فيمن حولها؟! وكيف يحب ويرفق وهو يرى سخط أمه على غيرها وقسوتها؟! وكيف

---

(١) سورة النساء: الآيتان: ١٢٣، ١٢٤.

يعفو ويعذر وهو يسمع نقد أمه لغيرها بل تعييبها وتحقيرها لغيرها وأولاد غيرها مادحة نفسها وأولادها؟! أنى له بالأخلاق إن لم تكن أمامه القدوة؟

فالتنشئة بكُن وكُن وكُن لا يمكن أن تتم...

لأن ذلك يحتاج إلى معايشة دائمة من كل أُمٍّ لأخلاق الله - تعالى- لتستطيع أن تغرس في أولادها المعاني الحقيقية لحب الله.. والخضوع إليه وحب ما يحبه الله وكره ما يكره الله والبعد عن تزكية الأنفس وحب الظهور على الغير بالعمل لا بالقول، كما أنه يحتاج من كل أم إلى الرجوع لسيرة المصطفى ﷺ والاقتداء بكل أعماله وسلوكه وأقواله فتتبعها بكل حب ورضى.

أختي الحبيبة.. قد تعرضت لذكر دور الأم مع الأولاد في تعليمها إياهم حب الله ورسوله؛ لأن ذلك من مقتضى الإيمان، والواجب الذي بدونه لن يكتمل إيمانها.. وهذا أهم ما كلفها به الله سبحانه وتعالى.

فرسالتك في الحياة هي الأمومة أي التنشئة... تنشئة الأجيال كما يحب الله ورسوله.

فقبل أن تبحثي عن أساليب لتربية أولادك وتحتاري في ذلك..

ابدئي بنفسك — أختي الحبيبة — وجاهديها وأدبيها بالأدب النبوي الرفيع.. زينيها بالأخلاق الربانية.. فإنك إن نجحت في ذلك استطعت أن تربي أُمة كاملة وجيلاً فريدًا، ولن تحتاجي عندها لأية نظرية مستوردة لتربية الأولاد بل يكون ذلك بالترجمة العملية لواقع

حياتك فتكونين مثل ورق الكربون بالنسبة لهم، ولو رجعت إلى كثير مما يحدث في حياتنا لوجدت أن ذلك صحيح، فكل الأولاد على أهواء أهليهم يحبون ويكرهون مثلهم تمامًا لعدم نضجهم، ولا يعرفون غير مقياس أمهم، إذ هي في حياتهم كل شيء.

قال النبي ﷺ:

«**كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو يُمجِّسانه أو ينصرانه**»[1].

من أجل ذلك كله علينا ضبط أخلاقنا على أخلاق الرسول ﷺ فإن تحقق ذلك في أنفسنا فلن نحتاج –بإذن الله– إلى جهد في تحقيقه في أبناءنا.. لأنه سيكون مترجمًا بالعمل.

وقد كان النبي ﷺ يفعل أكثر مما يقول ولنا في ذلك أسوة حسنة.

كما يجب علينا أن نتأسى ونعتبر من الأموات أكثر من الأحياء؛ لأن الأحياء لا تؤمن عليهم الفتنة...

أما الأموات مثل الصحابة –رضوان الله عليهم أجمعين– والسلف الصالح فقد كانوا من خير من تمثل المنهج الرباني والهدي النبوي اعتقادًا و قولاً وعملاً..

قال الرسول ﷺ: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين من بعدي**».

---

(١) رياض الصالحين.

وقال ﷺ: «**خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**».

وهذا كله لا يمنع الاقتداء بأهل زماننا ما داموا بعيدين عن الغلو.. والتفريط.. نزِن أعمالهم بالميزان الحق ونختار ما وافق الكتاب والسنة لا ما استحسنَّاه؛ لأن الإسلام وضح لنا أخلاق الجاهلية وأخلاق الإيمان، وكل من لم يحقق أخلاق الإيمان في نفسه كما جاءت عن الرسول ﷺ فهو امرؤ فيه جاهلية..

فالجاهلية ليست زمنًا محددًا إنما هي حالة ووضع توجد في كل إنسان ولو كان مؤمنًا إذا مر بأية حالة أو مشكلة أو حادثة تكون أخلاقه فيها على غير أخلاق الإسلام الحنيف.

أختي الحبيبة...

هيا بنا نحاسب أنفسنا.. ونتدبر معًا هذه الآية الكريمة:

﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾(١).

وقوله -تعالى-: ﴿**كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا**﴾(٢).

وذلك لئلا نكون من المفلسين يوم الحساب.. قال ﷺ: «**أتدرون ما المفلس؟**» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: «**إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام**

---

(١) سورة الحجرات. الآية ١٨.

(٢) سورة الإسراء: الآية ١٤.

وزكاة ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطي هذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أُخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طُرح في النار»(١).

وزادنا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ فقال: "حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم وتهيأوا للعرض الأكبر".

إن هذا هو العمل الحق الذي يجب أن نقوم به يوميًا بل ونتهيأ له في كل لحظة.. كما نتهيأ لكل شؤون حياتنا، رغم أننا قد لا ندرك تحقيق أي شأن حيث يتعجلنا الأجل، ومع ذلك نعيش كما لو أننا لن نموت أبدًا. إن الاستعداد لهذا اليوم يجب ألا يفارقنا.. فما من أحد منا يعلم متى يأتي يوم لقائه..

﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾(٢).

﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾(٣).

فكثير من الناس يعيشون في تيه الأماني ويتمنون على الله..

وقد قال الرسول ﷺ:

---

(١) رواه مسلم.
(٢) سورة الأنعام: الآية ١٥٨.
(٣) سورة لقمان: الآية ٣٤.

«الكيِّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله».

وإلى متى التمني..؟ إلى متى الانتظار؟ إلى متى التسويف؟ هل يظنون أن الساعة ما زالت بعيدة وأن هناك وقت للرجوع والتوبة لأن العلامات الصغرى لم تظهر كلها بعد؟ ألا يعلمون أن الساعة لا تقوم إلا على شرار الناس بل ولا تقوم على أحد يقول الله الله؟

عافانا الله وإياكم والمسلمين من ذلك وجعلنا برحمته ممن لا تقوم عليهم الساعة..

كما أن هناك أمرًا جد عظيم وخطير.. هل نسي أولئك أن كل إنسان ساعته تأتي بانتهاء أجله؟ ومن ذا الذي يعلم متى يكون ذلك؟ هل هناك نذير؟ أم هل يكون هناك استئذان واستعداد؟

إن النفس المؤمنة الصادقة العاقلة هي التي تستعد دومًا للقاء الله -تعالى- أكثر مما تستعد لغيره راجية داعية أن يكون خير أيامها يوم لقائه وخير عمرها آخره وخير أعمالها خواتيمها.

فتحرص أن تكون في كل لحظة على خير الأحوال وأفضلها؛ لأنها في كل لحظة تتوقع لقاء الله الذي ما بعده رجوع، وهذا الاستعداد يتوقف عليه مستقبلها الحقيقي الأبدي... الذي فيه دار استقرارها إما نعيم وإما جحيم.. والعياذ بالله.

* عن ابن عمر -رضي الله عنهما- أن رجلاً قال للنبي -صلوات الله وسلامه عليه-: أي المؤمنين أفضل؟ قال: «**أحسنهم خلقًا**» قال: فأي المؤمنين أكيس؟ (أي أعقل) قال: «**أكثرهم**

للموت ذكرًا وأحسنهم لما بعده استعدادًا، أولئك الأكياس».

أختي الحبيبة..

لتكن أول خطوة نخطوها في هذه المحاسبة هي أن نحسن تفكيرنا في أنفسنا، وفيمن حولنا.

قال -تعالى-: ﴿**أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى**﴾(١).

فلنتفكر جيدًا ما الهدف الذي خلقنا الله من أجله، ونتأمل في كل ما حولنا.. «**تفكر ساعة خير من عبادة سنة**» صدق رسول الله ﷺ(٢).

فسنوقن جيدًا أن ما مِن شيء خلق عبثًا.

قال تعالى: ﴿**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ**﴾(٣).

كما أن لنا مهمة غير مهمة غيرنا من المخلوقات فقد سخر الله -سبحانه وتعالى- الكون بكل ما فيه للمؤمن الصادق الذي هو خليفته في أرضه إن أقام شرعه وأحسن صِلته بالله فيكون كل شيء

---

(١) سورة الروم: الآية ٨.
(٢) من الدرر السنية (خلاصة حكم المحدث:
-قيل لا أصل له أو بأصله موضوع
- من كلام السلف
- إسناده واه بل موضوع.
(٣) سورة المؤمنون: الآية ١٥.

مسخرًا له ولخدمته لا يخشى إنسًا ولا جنًا.

قال رسول الله ﷺ:

«احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، وإذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعت على أن يضروك بشيء لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رُفعت الأقلام وجفت الصحف»[(١)].

فلا تغرنَّكِ الحياة الدنيا – أختي الحبيبة – ولا تشغلنك عما خلقت له.. قال الإمام ابن القيم –رحمه الله–:

"والله –سبحانه وتعالى– يغار على قلب عبده أن يكون معطلاً من حبه وخوفه ورجائه، وأن يكون فيه غيره، فالله –سبحانه وتعالى– خلقه لنفسه، واختاره من بين خلقه، كما في الأثر الإلهي:

«ابن آدم خلقتك لنفسي وخلقت كل شيء لك، فبحقي عليك لا تشتغل بما خلقته لك عما خلقتك له» وفي أثر آخر:

«خلقتك لنفسي فلا تلعب، وتكفلت لك برزقك فلا تتعب، يا ابن آدم اطلبني تجدني، فإن وجدتني وجدت كل شيء، وإن فُتُّك فاتك كل شيء، وأنا خير لك من كل شيء»".

فالتفكر مهم جدًا – أختي الحبيبة – لأننا لو تأملنا الأمر جيدًا لعرفنا أن كل ما له صلة بالعقيدة أو السلوك الأخلاقي بل وبعلاقتنا

---

(١) رياض الصالحين.

الاجتماعية والحضارية كذلك منوط بطريقتنا في التفكير..

إن التفكير الصحيح السليم هو الذي يحقق السلوك الجيد السوي الذي يرضي الله -سبحانه وتعالى- ويؤدي إلى نتائج إيجابية مثمرة..

قال الله -تعالى-: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾[١].

إن سلوك الناس ما هو إلا انعكاس لطريقة تفكيرهم وأسلوبهم.. لذلك دعانا الله -سبحانه وتعالى- إلى التفكير فهو فرض علينا جميعًا..

وكثيرًا ما نعمل دون أن نفكر، وبعد العمل إذا كانت النتيجة سلبية -وغالبًا ما تكون كذلك.. نقف لنفكر لماذا لم يكن ما عملناه جيدًا؟ وأين الخلل؟ ولماذا لم ننجح في ذلك العمل؟

السبب معروف؛ إنه عدم التفكير في كيفية العمل قبل البدء به، وبالتالي عدم عرضه على كتاب الله وسنة رسوله - عليه الصلاة والسلام- وعدم النزول على ما هو خير وأفضل.

كما أن عملنا لا يكون مبنيًا إلا على الأهواء والرغبات، والقرآن يرفض ذلك بل ويأمرنا -سبحانه وتعالى- أن نتجرد من أهوائنا ويقدم لنا البديل ﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ﴾[٢] فالقيام لله لإقامة الحق

(١) سورة سبأ: الآية ٤٦.
(٢) سورة سبأ: الآية ٤٦.

لا لهوى أو لرغبة وليس وراء ذلك دافع الانتصار للنفس..

كما أننا كثيرًا ما نقع في خطأ تعميم الحكم على غيرنا، وهذا أمر مرفوض أختي العزيزة فالقواعد المطلقة نادرًا ما تجوز في الشؤون الإنسانية.. فكلمة جميع، كل، دائمًا، التي نحكم بها على شخص ما غالبًا ما نرتكب بها خطأ فادحًا ونظلم حقيقة النفس المقابلة وطبيعتها..

والرسول ﷺ يعلمنا كيف نحكم ويُعرِّفنا أنه لا يجوز تعميم الحكم على الشخص.. ولنضرب مثلاً:

قال الرسول ﷺ: «**لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقًا رضي منها آخر**» أو قال «**غيره**»(١) يفرك: أي يبغض.

وهذا الحديث يدور حول أمر كثيرًا ما يقع بين الزوجين في لحظات الغضب فيصدرون أحكامًا قاسية على بعضهما لأي زلل صغير يقع من أحد الطرفين، وكره الرسول ﷺ ذلك فربما كان الكره من أحد الطرفين للآخر لفعل معين..

ولكن ليس معنى ذلك أن يعمم الكره له في كل حالاته، وقد يصف بعضنا بعضًا بصفات ليس له فيها برهان ولا دليل إلا الظن فيصدرون أحكامًا على من يعاملونهم ويصفونهم بما لا يليق، كل ذلك من خلال ظنهم ورأيهم الخاص ناسين أن الظن أكذب الحديث.

قال ﷺ: «**إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا**

---

(١) رواه مسلم.

تحسسوا ولا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانًا»(١).

وأذكر لك قصة أخرى تفيد في ذلك، عن عتبان بن مالك أن رجلاً وصف شخصًا يدعى مالك بن الدخشن بالنفاق فقال رسول الله ﷺ: «**أليس يشهد ألا إله إلا الله وأني رسول الله؟**» قال الرجل: إنه يقول ذلك وما هو في قلبه، قال ﷺ: «**لا تقل ذلك، ألا تراه قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله**»، فقال الرجل: الله ورسوله أعلم، أما نحن فوالله ما نرى وده ولا حديثه إلا إلى المنافقين، فقال رسول الله ﷺ: «**من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله -تعالى- فإن الله قد حرم عليه النار**»(٢).

فانظري أختي الحبيبة كيف يمنعنا رسول الله ﷺ من تعميم الحكم على شخص دون أن نملك الأسباب الكافية لذلك، فلا يجوز أبدًا إطلاق الصفة وتعميمها لمجرد خطأ في ناحية سلوكية..

قال النبي ﷺ: «**أربع من كن فيه كان منافقًا، ومن كانت فيه خلة منهن كانت فيه خلة من النفاق حتى يدعها؛ إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر**»(٣).

فتأملي أختي الحبيبة: إنه لم يقل من كانت فيه خلة منهن كان منافقًا بل كان فيه خلة من نفاق.. ولم يعمم الحكم..

---

(١) رواه الشيخان.

(٢) متفق عليه.

(٣) حديث حسن صحيح.

كذلك عندما قال لأبي ذر ﷺ: «**إنك امرؤ فيك جاهلية**» عندما عيَّر بلالاً الحبشي قائلاً: يا ابن السوداء. فقال فيك جاهلية أي هذه الخصلة من خصال الجاهلية، وهكذا أختي الحبيبة فلنتخل عن أي خصال يبغضها الله ورسوله ولنرم بالأخلاق الجاهلية جانبًا ولنتحل بكل ما من شأنه أن يقربنا من الله سبحانه وتعالى..

ولنحاول أن نلتفت إلى الجوانب الإيجابية في أخواتنا ولا نتتبع ما لم يظهر لنا منهن. وإن ظهر لنا شيء فلنحاول أن نستر وأن ننصح بالسر لا بالعلانية لئلا يكون تقريعًا..

ولنضع هذه الآية الكريمة نصب أعيننا دائمًا، قال -تعالى-: ﴿**وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا**﴾[1].

ولنتنبه إلى مكمن الخطأ الذي يتسرب من ورائه معظم الأخطاء. قال النبي ﷺ: «**يرى أحدكم القذاة في عين أخيه ولا يرى الجذع في عينه**»[2].

حقًا، ما أمهرنا في ملاحظة أدق العيوب في الأخريات ولو كانت في حجم القذاة لكننا غافلون عن عيوبنا العظام الجسام، ولو رأيناها لانشغلنا بها حتى وإن كانت صغيرة بل، ولشغلتنا تمامًا عن رؤيا عيوب غيرنا حتى وإن كانت كبيرة..

وهذا هو التقويم الذاتي الذي أمرنا به -سبحانه وتعالى-:

(١) سورة الإسراء: الآية ٣٦.

(٢) التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول.

﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾(١).

كما أكد -سبحانه وتعالى- على أن كل إنسان بصير بعيوبه مهما اختلق الأعذار والمبررات فقال -تعالى-: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ * وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾(٢).

فالتبريرات والأعذار كلها تخدع النفس، لكن إذا واجهناها بصدق وعزم وقوة إيمان استطعنا ردعها واستطعنا تربيتها، فنحقق الفلاح في الدارين إن شاء الله..

ولنتزود من سيرة سلفنا الصالح ومن تجاربهم الصادقة في تربية أنفسهم وصقلها بالإيمان... وكيفية ضبطها وردعها والانتصار عليها.. وتهذيبها لما يحب الله ورسوله... وبالتالي نؤدي حقها بأمانة ولا نظلمها كما أَمَرَنَا -سبحانه وتعالى- فهي أمانة، ويوم العرض الأكبر يوم تقوم الأشهاد فتشهد علينا..

وهذه حقيقة يجب علينا أن لا نغفل عنها.. قال -تعالى-: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾(٣).

لذا فمحاسبتنا لأنفسنا مرتبطة بإيماننا بالله ورقابته لنا وعلمه بنا.

فيا أختي الحبيبة إياك وما يُعتذر منه، تفقّدي ذاتك دائمًا ولا

(١) سورة الحجرات: الآية ١٨.
(٢) سورة القيامة: الآيتان ١٤-١٥.
(٣) سورة فصلت: الآية ٢٢.

تبحثي لها عن أعذار حتى لا تتورطي في خطأ قد يلجئك إلى حرج الاعتذار واحتمال الرفض والقبول من غيرك..

كذلك لا تكوني (إمَّعة) بل عليك أن توطني نفسك على الحق ولو على نفسك.. ولا تنقادي إلا لله -تعالى- ولا تكوني تبعًا لأحد إلا للحق واقفة عند حدوده.

أنقذي نفسك قبل أن يأتي يوم لا خلاص فيه.. واعلمي أنك إن عاملت نفسك بهذه الكيفية وبدأت بالبحث عن الأسباب المؤدية إلى المشاكل وإلى الجوانب السلبية في نفسك أولاً فستستطيعين -إن شاء الله- تقويمها، فاحذري أن تكوني على أحوال الناس إن أحسنوا تحسني وإذا أساؤوا تسيئي وهذا ما حذرنا الرسول ﷺ منه قائلاً: «**لا يكن أحدكم إمعة تقولون إن أحسن الناس أحسنا وإن ظلموا ظلمنا ولكن وطِّنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساؤوا فلا تظلموا**»[1].

ولقد نبَّهنا القرآن الكريم إلى أن كل زلل مبدؤه النفس فقال -تعالى-: ﴿**أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ**﴾[2].

فلنقبل على الله ليقبل الله علينا ويمدنا بعونه ومدده ويضع لنا القبول والتوفيق لنستطيع تقويم أنفسنا.

قال الحسن رضي الله عنه: "المؤمن قوَّام على نفسه يحاسب نفسه".

(١) رواه أبو داود بسند حسن.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٥٦.

وقال الإمام الغزالي في كتابه "إحياء علوم الدين": "فالنفس إن لازمتها بالتوبيخ والمعاتبة والعدل والملامة كانت نفسك النفس اللوامة التي أقسم الله بها ورجوت أن تصير النفس المطمئنة المدعوة إلى أن تدخل في زمرة عباد الله راضية مرضية فلا تغفلن ساعة عن تذكرها: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾[١]".

وقال العلماء: "ومن مقتضى المحاسبة توبيخ النفس ومعاتبتها وذمِّها لتقويمها وقيادتها لعبادة ربها وفطمها عن شهواتها، فإن النفس أمارة بالسوء، فهذا مطلوب في الخلوات بينك وبين ربك".

فكم من الآيات نقرأ؟... وكم نحمل من الأوامر والنواهي؟

وكم عدد المصاحف التي توجد في البيوت؟

وكم عدد كتب السنة التي تزخر بها المكتبات؟

وكم نحفظ من المعلومات الشرعية؟

وكم نعطي من الدروس والمواعظ؟

وكم وكم وكم... وكم عندنا من العلوم الدينية؟

ولكن؟!

قال الإمام البنا -رحمه الله-: "... كان القرآن فيما مضى زينة الصلوات، فأصبح اليوم زينة الحفلات، وكان قسطاس العدالة في

(١) سورة الفجر: الآية ٢٧-٣٠.

المحاكم فصار سلوة العابثين في المواسم، وكان واسطة العقد في الخطب والعظات فصار واسطة العقد في الحلي والتميمات، أفلست محقًا حين قلت:

ما رأيت ضائعًا أشبه بمُحتَفَظٍ به من كتاب الله؟!".

وقال أيضًا:

"إن الله بعث لكم إمامًا، ووضع لكم نظامًا، وفصل أحكامًا، وأنزل كتابًا، وأحل حلالاً، وحرم حرامًا، وأرشدكم إلى ما فيه خيركم وسعادتكم، وهداكم سواء السبيل، فهل اتبعتم إمامه؟ واحترمتم نظامه؟ وأنفذتم أحكامه؟ وقدّستم كتابه؟ وأحللتم حلاله؟ وحرمتم حرامه؟.."

لذا كل حيرة وكل تخبط وكل قلق... كل ما نحن فيه من صراعات مع أنفسنا ومع غيرنا لأننا ضللنا الطريق، حيث تركنا ما وصانا به رسولنا الكريم ﷺ وحذرنا الضلال.. يقول: «**تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا أبدًا كتاب الله وسنتي حبل ممدود من السماء إلى الأرض**».

أختي الحبيبة... من خلال كتابتي هذه وتناصحنا وتذاكرنا للمحاسبة معًا لا أريد أن أتعرض لكثير من الأمور التي كلنا يعلم أنه مهما زلَّ ومهما انزلق في مزالق الشيطان وجاء تائبًا مستغفرًا غفر الله له ورجع كمن لا ذنب له وأصبح من أحباب الرحمن.

قال رسول الله ﷺ: «**التائب من الذنب كمن لا ذنب له**».

وقال ﷺ: «**التائب حبيب الرحمن**».

وجاء في الحديث القدسي..

«**قال الله -تعالى-: يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة**»[1].

فالتوبة من أي ذنب والندم يمحى بها كل الخطايا ويغفر للتائب إن كانت المعصية بينه وبين ربه.. وشروطها ثلاث:

١- الإقلاع عن الذنب.

٢- الندم الشديد على فعلها وارتكابها.

٣- العزم على عدم العودة.

فإن فقد أحد هذه الشروط الثلاثة لم تصح توبته.

والآن أوضح لكِ ما أريد أن أتحدث إليكِ في هذه المحاسبة الأخوية إنني سأذكر الأمور التي لا تغفر أبدًا عند الله إلا من أصحابها (أصحاب الحقوق).

إن صفة الله -سبحانه وتعالى- العدل وليس من عدله -سبحانه وتعالى- أن يضيع حقوق العباد أو يظلمهم بعدم رد هذه الحقوق

---

(١) رواه مسلم.

إليهم من ظالميهم..

فإن التوبة من الذنب الذي يتعلق بآدمي شروطها أربعة وليس ثلاثة فقط.. فالشرط الرابع إضافة إلى الثلاثة السابقة ذكرها هو أن يبرأ التائب من صاحب الحق فإن كان مالاً أو نحوه رده إليه، وإن كان حد قذف مكنه منه أو طلب عفوه وصفحه، وإن كانت غيبة أو نميمة استحله منها... فحقوق العباد لا بد فيها من المسامحة أو القضاء في الدنيا؛ لأن فيها ظلمًا للعباد.. ولو بحق كلمة، والظلم من أعظم الذنوب التي يعجل الله -سبحانه وتعالى- لصاحبها العقوبة في الدنيا والآخرة. في الدنيا يكشف أمره الله ويفضحه، وفي الآخرة يبقى على جسر جهنم حتى يأتي بنفاد ما قال في غيره أو يُرجع الحقوق إلى أصحابها وكيف هذا؟

قال الرسول ﷺ: «**ما من ذنب أحرى أن يُعجل الله – عز وجل- لصاحبه العقوبة في الدنيا – مع ما يدخر في الآخرة – من قطيعة الرحم والبغي**»(١).

قال ﷺ: «**من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه**»(٢) أي رجعت صفحته بيضاء خالية من الذنوب جميعها إلا حقوق العباد وأعيد ولو كان هذا الحق كلمة فيها تعدي أو ظلم أو تتبع أو تجسس أو تحقُّق ظن أو كشف عورة باللسان..

أختي الحبيبة..

(١) حديث صحيح.

(٢) حديث صحيح.

لعلك فهمت ما أنوي الحديث عنه ألا وهو ثلاثة أمور من أخطرها على المرء المسلم ودينه وهي متعلقة باللسان.

قال ابن مسعود ﷺ: "ما على وجه الأرض شيء أحوج إلى طول سجن من اللسان".

نعم... اللسان الذي قال فيه الرسول ﷺ: «**من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة**»[(١)] وقال ﷺ: «**وهل يكب الناس على وجوههم في النار إلا حصائد ألسنتهم**»[(٢)].

* أختي: إنه من المؤسف حقًا أن لا نشعر بخطورة اللسان وإلا لانتهينا عن كل كلمة سوء وكل قول باطل. لا أدري إلى متى سنظل هكذا.. نعلم ولا نعمل فلننظر إلى الأعضاء أعضاء بني آدم كيف تشعر بخطورة ذلك وتصرخ من هذا اللسان تُكفِّره قائلة له ما أخبرنا به رسولنا الكريم ﷺ: «**إذا أصبح ابن آدم، فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان تقول: اتق الله فينا، فإنما نحن بك، فإن استقمت استقمنا وإن اعوججت اعوججنا**»[(٣)].

ونزغات الشيطان أكثر مما تتجمع وتتأتى عن طريق اللسان فتتجمع في النفوس. قال -تعالى-: ﴿**وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا**

(١) متفق عليه.
(٢) حديث حسن صحيح.
(٣) أخرجه الترمذي.

مُبِينًا﴾[(١)].

* أختي الحبيبة: الأمور سنتذاكرها معًا:

١- الظن. ٢- الغيبة. ٣- النميمة.

فهذه الأمور التي لا يسلم منها بيت مسلم قد تُضيع صالح الأعمال مهما كثرت وسيتبين لنا الآن خطورتها.

الظن

ما من امرئ يستطيع أن يمنع الظن من الدخول إلى نفسه، ولكن هناك ظنان؛ ظن حسن وهذا ما يجب علينا تجاه كل من نعرف من المسلمين والمسلمات وألا نعتبر أنفسنا خيرًا منهم، ونهانا الله -سبحانه وتعالى- عن تزكية أنفسنا. قال -تعالى-: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾[(٢)].

وذلك لئلا نقع في الظن السيئ وهذا الذي نحن منهيون عنه شرعًا.. فهو من خصال الشر التي يجب أن نتخلى عنها والتي حذرنا منها القرآن والسنة..

فالأصل حمل المسلم على الصلاح.. بأن لا نظن فيه إلا خيرًا وأن نحمل كل ما يصدر من أفعال أو أقوال منه على أحسن الوجوه

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٥٣.

(٢) سورة النجم: الآية ٣٢.

وأن نجد لها في الخير محملاً ونتلمس الأعذار لا أن نطلب العثرات ونتتبعها مستسلمين لوسوسة النفس والشيطان في إساءة الظن بالمسلمين...

فإن من أبغض الناس إلى النبي ﷺ بل وأبعدهم منه مجلسًا يوم القيامة التباعين للبرآء العثرات؛ أي الذي يتتبعون عثرات الناس وينشرونها بين الناس.. ولا يسترونها وقد وضح ﷺ: «**إن من شرار الناس الذين لا يقيلون عثرة ولا يقبلون معذرة ولا يغفرون ذنبًا**»[1].

فلنعلم أختي الحبيبة أن الله –تعالى– قال في كتابه الحكيم: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ**﴾[2].

أختي... تأملي معي الآية اجتنبوا الكثير لتبعدوا القليل فلما أمرنا الله –سبحانه وتعالى– بالابتعاد عن الظن بيَّن أن أكثره يوقع في السوء ونحن محاسبون عليه ولو في النفس إذا وضعنا سوء الظن في القلب و لم نتأكد من صاحب الأمر وأخذنا نتتبع ونتحسس ونتجسس لنؤكد ظنوننا..

فالأصل أن نوجد الأعذار وإن كان الأمر يحتمل وجهًا واحدًا للخير وباقي الأوجه شر وجب علينا أن نحمله على هذا الوجه الذي هو خير فلا نستعجل الاتهام.

قال الشاعر:

(١)

(٢) سورة الحجرات: الآية ١٢.

تـــأن ولا تعجـــل بلومـــك صـــاحبًا
لعـــل لـــه عـــذرًا وأنـــت تلـــوم

وقال -تعالى- لكل من يتبع ظنون نفسه بلا دليل ولا برهان مادي: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾(١).

وقال: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾(٢).

﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾(٣).

فالظنون مرفوضة تمامًا في الإسلام، فقد قال النبي ﷺ محذرًا إيانًا: «**إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث**»(٤).

ومن الظنون التي ينزغها الشيطان في النفوس:

* ما ينزغه في نفس أحدنا حين نستمع لوعظ واعظ فيقول: تصدي له إنكِ أعلم منه.. فيصبح بدلاً من أن يكون مستمعًا، متصيدًا للأخطاء مجادلاً جدلاً عقيمًا فيؤدي ذلك إلى النفور والفتنة والفرقة.

* كذلك إذا ما جاء ناصح ينصح عالمًا فإن الشيطان ينزغ له فيقول: أتنصح من هو أعلم منك؟ فيمنعه ذلك من تقديم النصح

---

(١) سورة النجم: الآية ٢٨.
(٢) سورة النجم: الآية ٣٢.
(٣) سورة الأنعام: الآية: ١١٦.
(٤) الشيخان

فتعم البلوى.

وينزغ للعالم فتوسوس له نفسه قائلة:

كيف لفلان أن ينصح مثلك؟ ومن هو لينصحك؟ وما مستواه؟ وكيف تتقبل النصح ممن هو أصغر منك؟ أو أقل منك علمًا؟ فيبني على ذلك جسر من الكراهية فلا يحب المنصوح أن يرى الناصح أو يمشي معه أو يتعامل وإياه.. وتكون الطامة التي ينشدها الشيطان قد تحققت عن طريق الظنون..

فالخوف من النصح – أختي الحبيبة – مدخل من مداخل الشيطان علينا أن نبتعد عنه، وكذلك المانع من قبول النصيحة، لأنه يثبت في النفس التعالي والكبرياء بأن تستكثر على نفسها أن ينصحها أحد هو أقل علمًا أو سنًا وترى أنها الأكمل والأعلم. ومن هنا فلنذكر آداب النصح وآداب المتناصحين فتقديم النصيحة تكليف رباني يرجى في الناصح أن تكون نيته خالصة لله لا تحتمل أي حظ للنفس إلا ابتغاء الإصلاح. قال -تعالى-: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ﴾[1].

كما يجب على الناصح أن يستر على من نصحه ولا يجهر بذلك ويكشف العورات ويهتك ستر الله..

وعلى المنصوح أن يتقبل النصح وأن يفترض أن هذا تقويم لحياته ومساره ومنهجه الذي سار عليه مخطئًا، وأن هذا النصح إنما

---

(١) سورة هود: الآية ٨٨.

جاء لإصلاح ذلك الخطأ فهو خير له قبل سواه، فعليه أن يحمد الله أن يسر له من ينصحه ويبصره بعيوبه ولنتأس بسيرة السلف الصالح.

* كان عمر بن الخطاب ﷺ يقول: "إذا رأيتم فيَّ اعوجاجًا فقوِّموني" فقال أعرابي: "لو رأينا فيك اعوجاجًا لقومناه بسيوفنا" فرد قائلاً: "الحمد الله الذي جعل في أمة محمد من يقوم اعوجاج عمر".

* أما عمر بن عبد العزيز فقد اختار شخصًا عندما كان واليًا وقال: "إن الأمراء يضعون لهم عيونًا على الشعب وأنا أضعك عينًا على نفسي".

وقال عمر بن الخطاب: "لا تظن بكلمة خرجت من أخيك المسلم سوءًا وأنت تجد لها في الخير محملاً".

ولنعلم أن هناك فرقًا بين النصيحة والتعيير. قال النبي ﷺ: «**من عيَّر أخاه بذنب لم يمت حتى يعمله**»(١) وذلك على الذنب الذي تاب منه صاحبه.

وكره السلف جميعًا ذلك كما كرهوا أن يكون النصح علانية؛ لأن النية والغرض من ذلك التحقير وإشاعة العيوب والمفسدة. حيث إن إظهار العيوب والتحدث بها من أكبر الأسباب التي تؤدي إلى إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا.. فلنجتهد في ستر عورات المسلمين والمسلمات وخاصة إذا كان مشهودًا لهم بالصلاح..

---

(١) الترمذي مرفوعًا.

أختي الحبيبة...

فلنجتهد معًا في تحقيق الإخاء فيما بيننا بالمحبة في الله ولله للمسلمين جميعًا فنحفظ حقوقهم ونستر عوراهم، لنكون يدًا واحدة على من سوانا نسير بقلب واحد كما أمرنا الله -تعالى- بقوله: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾(١) وقال: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾(٢).

وقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾(٣).

فالأمانة الكبرى هي تحقيق معاني الإيمان في النفس ومن ثم الإخاء ليصبح مجتمعنا مجتمعًا محبًا مسلمًا لله -تعالى- كما أمر وقال: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾(٤).

فلنكن يقظين دائمًا من مداخل الشيطان ومزالقه.

قال الأستاذ مصطفى الرافعي -رحمه الله-:

"إذا بلغك عن صديقك ما تكره فالتمس له عذرًا من واحد إلى سبعين، فإن لم تجد فقل لعل له عذرًا، وأنت أيتها المسلمة إذا بلغك

(١) سورة آل عمران: الآية ١٠٣.
(٢) سورة الشورى: الآية ١٣.
(٣) سورة الحجرات: الآية ١٠.
(٤) سورة آل عمران: الآية ١٠٢.

من أختك ما تكرهين فالتمسي لها عذرًا من واحد إلى سبعين، فإن لم تجدي فقولي لعل لها عذرًا، زوجوا الحكمتين أيها الناس".

وبذلك أختي الحبيبة نتوقى التعرض لما قد يعرضنا للندم والخزي في الدنيا والآخرة قال -تعالى-: ﴿أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾[(١)].

فإذا بلغتنا مشكلة من أي طرف فيجب علينا قبل الخوض فيها:

أن نتثبّت ونتبين جميع الأطراف، لا نميل بعواطفنا تجاه أي طرف.. علينا – أختي الحبيبة – أن نتقي الله ونحكمه فيما نسمع ونقول.

وقد قيل: "إذا جاءك أحد الخصمين وقد فُقئت عينه فلا تحكم له فربما قد فقئت عينا الآخر".

إن المنهج الإسلامي – أختي الحبيبة – يأمرنا بأن نتلمس الأعذار لمن يخطئ، ونحسن الظن وأن نتروى فلا نتسرع في الحكم ولا نوجه الاتهامات فنظلم غيرنا بل ونظلم أنفسنا بارتكاب ما لا يليق في حقها..

فيجب علينا ألا نبني على الظنون أي عمل أو رأي مهما كان فإن في ذلك إثمًا كبيرًا وقد نهينا عنه بنص صريح في كتاب الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾[(٢)]

(١) سورة الحجرات: الآية ٦.
(٢) سورة الحجرات: الآية ١٢.

فيجب علينا — أختي الحبيبة — النزول عند هذا الأمر والانقياد التام له وإلا كنا رافضين أمرًا لله تعالى، غير متحاكمين بحكمه ولا مؤتمرين بأمره ولا منتهين بنهيه وهذا ما حدث مع إبليس.

فلنحذر أن نخطو خطوة إبليس... أختي.. وكأني بك تعترضين قائلة: وكيف أكون بذلك مثل إبليس؟!

نعم — أختي — فإن إبليس لم يكفر بالله ولم ينكر وجوده بل امتنع عن تنفيذ الأمر والاستجابة لما أمره به -سبحانه وتعالى- لماذا؟ لأنه كان هناك دافع العزة بالنفس والكبر فهو — بنظره — أعلى مقامًا من آدم..

وأنت هنا ترفضين الانقياد لهذا الأمر وتسيرين وراء ظنونك فتتعاملين وتتحاكمين من خلالها، تحسنين الظن بنفسك وبآرائك وبأحكامك على غيرك (فتزكين نفسك) وهذا منهي عنه شرعًا، ناسية قول الله -تعالى-: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾[1].

وغافلة عن قول النبي - عليه الصلاة والسلام-: «**إياك والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانًا**»[2].

أختي الحبيبة.. وكأني أسمعك تقولين ثانية: هذا الكلام أنا أؤمن

(١) سورة النجم: الآية ٣٢.

(٢) رواه الأربعة.

به ولا أرفضه ولا أمتنع عن تنفيذه لكني أعرف فلانة وفلانة وجربتها وأعرف ما تقصده ومتأكدة من نيتها ومما ترمي إليه، سبحان الله يا أختي! كأنك كشفت عن قلبها واطلعت الغيب، سبحان الله من أنت حتى تقولين ذلك؟؟ هل هذا هو الطريق الصحيح الذي تتبعينه.. من الأعلم بذلك أنت أم الله؟ وما دمت لا تملكين دليلاً ماديًا هل تستطيعين إقامة الحكم؟...

أختي الحبيبة.. ارحمي نفسك وارحمي غيرك واعلمي أنه ليس لنا إلا ظواهر الأقوال والأعمال كما يجب علينا أن نتلمس الأعذار ولنتأدب في الحكم على الناس ولنستحي من الله -سبحانه وتعالى- حق الحياء ولا نعين الشيطان على أنفسنا وعلى أخواتنا لعلها لم تخطئ أو لعل لها عذرًا.

أختي الحبيبة... تحدثنا عن الظن..

والآن لنتحدث عما إذا كان هناك خطأ قد وقع حقًا في حقك، فلننظر بم يطالبنا ديننا الحنيف؟

إن أول ما يطالبنا به الإسلام أن ننظر في هذا الخطأ أفي حق أنفسنا أم في حق الله.. وهنا كذلك نحدد نوع الغضب أللنفس فيه نصيب؟ أم هو خالص لله؟

ولنتذكر أن الرسول ﷺ، وهو الذي يأمرنا الله -سبحانه وتعالى- بالاقتداء به، لم يغضب لنفسه قط إلا أن تنتهك حرمات الله..

وهذا هو الغضب المحمود الدال على كمال الإيمان.

قال رسول الله ﷺ: «**من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان**»[١].

وبعد ذلك لننظر إلى نتائج هذا الغضب بل وآدابه هل نقاطع المخطئ إذا أخطأ أم نعالجه؟ وما دورنا معه؟

كذلك إذا انتابنا شعور بالكره هل نكره الشخصية كلية أم نكره الفعل الخطأ فقط؟ ويبقى الإخاء ويبدأ الإصلاح الأخوي؟ وإذا بدأنا الإصلاح هل نقرع ونعير ونوبخ أم ننصح بالحب والسر والستر؟

أختي الحبيبة: إن كنت ممن يغضب لنفسه فتذكري أن الله -تعالى- قال في كتابه الكريم: ﴿**لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾[٢].

وكان خلق الرسول عليه الصلاة والسلام القرآن فهو يقول لنا: «**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به**»[٣].

وتذكري ما أمرنا به ألا نعمم الحكم وبذلك لا يترتب الحقد والكره التام وذكرنا أمثلة على ذلك..

فنحن مأمورون بكره الخطأ نفسه فإذا انصلح وجب أن يعود الحب كما كان بل وزيادة؛ لأن هذا المخطئ عرف ربه ورجع وتاب، وهل لنا غاية سوى رجوع كل عاص وكل عاق إلى

(١) حديث صحيح.
(٢) سورة الأحزاب: الآية ٧٠.
(٣) الأربعين النووية.

الله...؟

ألا تعلمين أن التائب حبيب الرحمن؟ كما جاء في الحديث فهل تشعرين تجاه من أذنب بالشفقة وإذا رجع هل تحبينه.. هل تلبين نداءه وهو في أزمة بحاجة إلى عونك لتنيري له الطريق..؟؟؟

جاء في الأثر: «قال موسى عليه السلام: يا رب، ماذا تقول إذا ناداك عبدك، قال: يا رب، وهو راكع؟ قال -تعالى-: أقول لبيك، قال: فماذا تقول إن ناداك يا رب، وهو ساجد؟ قال -تعالى-: أقول لبيك، قال: فما تقول إن ناداك وهو عاص؟ قال -تعالى-: أقول لبيك لبيك لبيك».

وفي الحديث القدسي قال رب العزة: «عبادي يبارزونني بالعظائم وأنا أكلؤهم على فرشهم، إني والجن والإنس في نبأ عظيم؛ أخلق ويُعبد غيري، وأرزق ويُشكر سواي، خيري إلى العباد نازل وشرهم إلي صاعد، أتحبب إليهم بنعمي وأنا الغني عنهم، ويتبغضون إليَّ بالمعاصي وهم أفقر شيء إليَّ، من أقبل إليَّ تلقيته من بعيد، ومن أعرض عني ناديته من قريب، ومن ترك لأجلي أعطيته فوق المزيد، ومن أراد رضاي أردت ما يريد، ومن تصرف بحولي وقوتي ألنت له الحديد، أهل ذكري أهل مجالستي، وأهل شكري أهل زيادتي، وأهل طاعتي أهل كرامتي، وأهل معصيتي لا أقنطهم من رحمتي، إن تابوا إلي فأنا حبيبهم فإني أحب التوابين وأحب المتطهرين، وإن لم يتوبوا إلي فأنا طبيبهم، أبتليهم بالمصائب لأطهرهم من المعايب، من آثرني على سواي آثرته على سواه، الحسنة عندي بعشر أمثالها إلى

سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، والسيئة عندي بواحدة فإن ندم عليها واستغفر غفرتها له، أشكر اليسير من العمل، وأغفر الكثير من الزلل، رحمتي سبقت غضبي وحلمي سبق مؤاخذتي، وعفوي سبق عقوبتي أنا أرحم بعبادي من الوالدة بولدها»[1].

فأين نحن من هذه الأخلاق السمحة الرحيمة الربانية التي تربي النفوس وتنقيها من دنس الجاهلية.. وتسمو بها في الآفاق العالية..

أختي.. أفلا نظرت إلى نفسك يومًا كيف وقد رجعت عن ذنب ما لا يعلمه أحد عنك إلا الله ثم أعرض الله عنك و لم يتقبل منك، كيف يكون وقع ذلك عليك؟.

فكيف وقد فتح لنا -سبحانه وتعالى- أبواب رحمته لقبول توبتنا ومعذرتنا.. وستر علينا ذنوبنا فما منا من أحد بمعصوم. كيف نغلق أبواب قبول اعتذار غيرنا.. ونرفض المسامحة وحتى إذا لم يعتذر لنا ألا نقبل الأمر على أنه عثرة أو زلة نوجد لها عذرًا ونحاول السير معًا متناصحين متآخين.. إن لم نتمثل أخلاق الله -تعالى- في مثل هذه الحالات فمتى إذن نتمثلها..؟؟؟ وأين مكانها في حياتنا؟ هل فقط نرجوها لنا إذا زللنا أما لغيرنا فلا؟ ولنا في أبي بكر الصديق رضي الله عنه أسوة حسنة عندما نهاه رب العالمين عن مقاطعته لمسطح (الذي كان السبب في وقوع حادثة الإفك) رغم ما ارتكب في حق الله ورسوله والإسلام وحقه وحق ابنته... نهاه رب العالمين قائلا: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾.

(١) مدارج السالكين.

فسارع بالإجابة وبتلبية ربه قائلاً: "بلى يا رب أحب"، وكان قد أقسم على ألا يدفع نفقة لمسطح فرجع عن ذلك وعاد إلى ما كان عليه.

وللاستزادة يمكن الرجوع إلى القصة من خلال تفسير سورة النور.

أختي الحبيبة... لا أستطيع أن أقول لك إنه عليك أن تُخلي نفسك من الظنون تمامًا، فهذا غير ممكن؛ لأنه ما من أحد منا يسلم من ذلك.. ولكن هناك علاج لذلك لئلا نقع في الإثم.

قال ﷺ: «**ثلاثة لا يسلم منهن أحد؛ الظن والتطير والحسد، فإذا ظننت فلا تحقق، وإذا تطيرت – أي تشاءمت – فلا ترجع، وإذا حسدت فلا تبغ**».

ومعنى ذلك أن الناس أبرياء ما لم يظهر الدليل الذي يؤكد ما يجب أن يؤاخذوا عليه.. وليس معنى ذلك أن نتتبع ونتجسس ونتحسس لنؤكد الظنون التي تجول بخواطرنا.. بل أن نظن بهم كما نظن بأنفسنا خيرًا ﴿**لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ**﴾[1].

هذا بالنسبة إذا كانت الظنون من طرفنا والخطأ في حقنا...

أما إذا كنت مستمعة لمن جاء يشكو ويبكي.. فعليك الآتي:

١- اعلمي أنه لا يجوز لك أن تستمعي من طرف دون الآخر

---

(١) سورة النور: الآية ١٢.

مهما كانت ثقتك فيمن يتحدث إليك؛ لأننا نُهينا عن هذا شرعًا إلا إذا كان ذلك على أساس أننا سنسمع من الطرف الآخر ونجمعهم معًا، وذلك لئلا نتسرع في الحكم ونظلم غيرنا بل ونظلم أنفسنا بارتكابها ما لا يليق.

ولنتثبت من المشكلة تمامًا بسماع الجميع.

قال ﷺ: «**الأناة من الله والعجلة من الشيطان**»(١).

فالعجلة والسرعة مكروهة في كل شيء ولا تورث إلا الندامة – إلا في أعمال الآخرة فيجب المسارعة إلى كل خير وفضيلة خوفًا من ضياعها وعدم القدرة عليها في وقت آخر، قال ﷺ: «**التؤدة في كل شيء خير إلا في عمل الآخرة**»(٢).

كما أن لنا في موقف سيدنا داود عليه السلام من الخصمين اللذين احتكما إليه أسوة حسنة.

قال -تعالى-: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾(٣).

تأملي – أختي الحبيبة – حين تسرع سيدنا داود عليه السلام في الحكم دون أن يستمع للطرف الآخر فأخطأ..

(١) الترمذي حسن غريب.
(٢) أخرجه الحاكم بسند صحيح.
(٣) سورة ص: الآيات ٢١-٢٦.

فجاءه التوجيه الرباني: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾(١) وقال للنبي ﷺ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٢).

وقال: ﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾(٣).

ومن الأسباب التي تؤدي إلى الخطأ في الحكم على بعض الأشخاص حتى ولو سمعنا من جميع الأطراف أن أحدهم يكون ألحن من غيره.. بأسلوبه وفصاحته والآخر لا يستطيع أن يقيم حجة.. تمامًا كما حدث في قصة علي بن أبي طالب مع اليهودي الذي سرق درع علي ﷺ فاحتكما إلى حكم عدل و لم يوجد الدليل على ملكية عليٍّ للدرع ولم يستطع إثبات السرقة فحكم بالدرع لليهودي فلما رأى اليهودي طريقة الحكم كيف تتم ما لم يوجد الدليل وهو يعلم بينه وبين نفسه أنه السارق.. راجع نفسه أمام هذا العدل على الرغم من مكانة عليٍّ بين المسلمين وقال: إن دينا يحكم هكذا لهو أولى بالاتباع وكان ذلك سببًا في إسلامه..

ولئلا يضيع حق أحد قال رسولنا الكريم موضحًا ومحذرًا: «**إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إليَّ، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته**

(١) سورة ص: الآية ٢٦.
(٢) سورة الجاثية: الآية ١٨.
(٣) سورة المائدة: الآية ٤٩.

من بعض فأقضى له بنحو ما أسمع، فمن قضيت له بحق أخيه فإنما أقطع له قطعة من النار»[1].

تأملي أختي رحمة الله بنا ورحمة نبيه - عليه الصلاة والسلام- وتوجيهه لنا وتحذيره إيانا حرصًا على أن تكون قلوبنا مطهرة فلا تتلوث بأفكار وعادات وطبائع الجاهلية. فما أجمل وأروع أن تكون النفس هكذا وما أسعد القلب الذي يكون دومًا محبًا، جعلنا الله كذلك.

فلنتواصى ولنتعاهد على العمل بذلك.. متحلين بشروط التواصي والنصح الحق النابع من قلب محب لا يرى نفسه ولاحظها بل يرى الله -تعالى- في كل شيء..

فيستقيم القلب والعقل على ما أمر به الله -تعالى- وهذه الشروط تفرض علينا:

١- أن نتحرى الصدق، فكثيرًا ما تأخذ الشائعات مكانًا واسعًا في الحكم على الناس وهذا ما يجب التأكد منه ولا يجوز البناء عليه.. لئلا يكون هناك لبس أو كذب. قال رسول الله ﷺ: «**كفى بالمرء كذبًا أن يحدث بكل ما سمع**» وقال - عليه الصلاة والسلام- : «**كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثًا هو لك مصدق وأنت له كاذب**»[2].

٢- أن نتحرى القصد والنية الباعثة على هذا النصح؛ هل هو

(١) متفق عليه.

(٢) أخرجه البخاري.

للتشفي والتحقير والاستعلاء، أم خالصًا لله؟ فإن كان للنفس نصيب فيه فلنتوقف فورًا ولا سيما إن لم نطمئن إلى مقصدنا..

«فالإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع الناس عليه» فلا تشركي حظ نفسك مع الله..

﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[١].

وإن كان القصد خالصًا لله فما الذي يمنعنا من أن ننهج أسلوب الرحمة.. والرأفة في إسداء النصح والتوجيه كما أمرنا الرحمن الرحيم وأرسل لنا رسولاً ينصحنا ويعلمنا ووصفه بأنه ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[٢].

٣- أن يكون النصح سرًا مع المنصوح وحده فمن نصح أخاه سرًا فقد زانه ومن نصحه جهرًا فقد فضحه وشأنه..

وصدق الإمام عليٌّ -كرَّم الله وجهه- حيث يقول: "النصح بين الملأ تقريع".

كما أنه يجب اختيار الكلمات بأدب واستحياء وخفض جناح وحب وعدم الاستعلاء على غيرنا.. لئلا يتولد الحقد قال -تعالى-: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾[٣].

---

(١) سورة الكهف: الآية ١١٠.

(٢) سورة التوبة: الآية ١٢٨.

(٣) سورة النحل: الآية ١٢٥.

وقال: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾(١).

وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾(٢).

إن هذه التعليمات الربانية تعلمنا أدب الحديث مع غيرنا وتعلمنا طريق النجاح في العلاقات فيما بيننا ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾.

قال ﷺ: «**لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه**».

فالرفق الرفق – يا أختي – بمن حولك: «**إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على سواه**»(٣) كما جاء في الحديث الصحيح...

وقال ﷺ: «**من أُعطي حظه من الرفق أعطي حظه من الخير، ومن حرم حظه من الرفق حرم حظه من الخير**»(٤).

قال -تعالى-: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾(٥).

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٧٠.
(٢) سورة الملك: الآية ١٤.
(٣) رواه الأربعة.
(٤) رواه الترمذي وأبو داود ومسلم.
(٥) سورة آل عمران. الآية: ١٥٩.

فالرحمة الرحمة يا أختي بنفسك وبمن حولك وتحلي بآداب الحديث..

٤- لنجعل نصحنا دومًا مزينًا بالدليل الشرعي الصحيح.. لئلا نقع في خلافات ومشادات..

وأن نختار التيسير على غيرنا لا الغلو، فلا نكون معسرين بل ميسرين ومبشرين كما أوصى بذلك الرسول - عليه الصلاة والسلام-: «**إنما بعثتم ميسرين**».

ولم يعرض عليه قط أمران إلا اختار أيسرهما.. وقال ﷺ: «**هلك المتنطعون**» قالها ثلاثًا.

قال الإمام النووي: "المتنطعون أي المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم".

وقال غيره: "المراد بالمتنطعين: الغالون في عبادتهم بحيث يخرج عن قوانين الشريعة ويسترسل مع الشيطان في الوسوسة".

وقيل: "هم المتعنتون في السؤال عن عويص المسائل التي يندر وقوعها".

ومن ذلك الإكثار من التفريع على مسألة لا أصل لها في كتاب ولا سنة..

وكذلك البحث عن أمور معينة ورد في الشرع الإيمان بها مع ترك كيفيتها — مثل الساعة — الروح.. وغير ذلك.

وقال بعضهم: "مثال التنطع إكثار السؤال حتى يفضي

بالمسؤول إلى الجواب بالمنع بعد أن يفتي بالإذن".

وكل ذلك من الحرج الذي رفضه هذا الدين القائم على التيسير لا التعسير، والتبشير لا التنفير؛ لأن الغلو في الدين يؤدي إلى التشديد في الأمور الصغيرة، والضيق بكل مخالف فيها على حين تكون السماحة واليسر من أسباب التقارب والوفاق...

وهذه الروح التي جعلت الصحابة ومن تبعهم بإحسان يتسامحون في الفروع الجزئية، ولا تضيق صدورهم بالخلاف فيها بل كانوا ينكرون على من جعل البحث عن هذه الأمور شغله الشاغل. قال ﷺ: «**إياكم والغلو في الدين فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين**» حديث صحيح.

والقرآن فيه نهي عن ذلك: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ**﴾[١].

وقال ﷺ: «**إن أعظم الناس جرمًا رجل سأل عن شيء لم يحرم، فحرم من أجل مسألته**».

وقال ﷺ: «**ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، إذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه**»[٢].

---

(١) سورة المائدة: الآية ١٠١.

(٢) أخرجه الشيخان.

فلنبتعد عن كل ما به خلاف؛ لأنه تبذير للوقت وإسراف فقد عرف ابن مسعود ﷺ التبذير بأنه "كل ما أنفق بغير حق من مال ووقت وكلام في غير مصلحة".

نعم إن الواجبات أكثر من الأوقات.

فلنسارع إلى رد كل اختلاف للقرآن والسنة مباشرة لئلا تضيع أوقاتنا في نقاشات لا فائدة منها ومن ثم ضياع لأخوتنا وصحبتنا... ونقد وتجريح غيرنا.

قال الإمام البنا -رحمه الله-:

"كل مسألة لا يبنى عليها عمل فالخوض فيها من التكلف الذي نهينا عنه شرعًا".

ولا ننسى – أختي الحبيبة – أنه أحيانًا يتعدد الصواب أي يكون كلا القولين على صواب مع اختلافها.. وهذا لا يستطيع الحكم عليه إلا أهل العلم المختصين بذلك.

فالحب.. الحب يا أختي.. هو ما نريده ويريده الله منا قبل كل شيء..

اسمعي قول الرسول ﷺ:

«**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»[1].

وقال: «**خير الأصحاب عند الله -تعالى- خيرهم لصاحبه،**

---

(١) حديث صحيح.

وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره».

وتأملي معي قول الإمام البنا -رحمه الله- متحدثًا عن عواطف النفس وأشواقها قائلاً:

"واعتقد كذلك أن النفس البشرية محبة بطبعها وأنه لا بد من جهة تصرف إليها عاطفة حبها.. فلم أر أحدًا أولى بعاطفة حبي من صديق امتزجت روحه بروحي فأوليته محبتي وآثرته بصداقتي".

فإذا ملأنا أنفسنا بالحب للكل استطعنا قيادها، ولنحذر تقلبات القلوب التي بينها لنا الرسول الكريم - عليه الصلاة والسلام- وهي أن هذا القلب بين أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء.. لذا أوصى أم المؤمنين أم سلمة بهذا الدعاء: «**اللهم يا مُقلِّب القلوب والأبصار صرف قلوبنا على طاعتك**» وفي رواية: «**ثبت قلبي على دينك**».

ولنسأل الله الحب لكل المسلمين والمسلمات وأن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته. اللهم آمين.

* * *

والآن لنتحدث عن:

الغِيْبَة

وصدق من قال: "كل مجلس للنساء يخلو من التحذير من الغيبة فهو أبتر".

فالغيبة – أختي الحبيبة – تعتبر من الكبائر وتعريفها كما قال

الرسول ﷺ:

«**أتدرون ما الغيبة؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**أن تذكر أخاك بما يكره**» قيل: أرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «**إن كان فيه فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته**» (أي افتريت عليه).

أي إنها كل ما يذكر عن أي مسلمة أو مسلم بما يكره لو بلغه سواء ذكر فيه بنقص في بدنه أو نسبه أو خلقه أو فعله أو قوله أو دينه أو دنياه..

فالغيبة لا تقتصر على اللسان، فالتعريض مثل التصريح والفعل كالقول والإشارة والإيماء والغمر واللمز والكتابة، كل ما يفهم منه المقصود لمن تتحدث أو تُعرِّض أو تكتب إليه وتشير إلى صفات تُفهمه ما ترمي إليه فذلك كله غيبة.. وهو حرام حرام. وهي من الذنوب التي لا يغفرها إلا صاحبها؛ لأنها من حقوق العباد التي يتركها الله لأصحابها ليتقاضوها أو يتسامحوا فيها، فلنتحلل من ذلك اليوم قبل الغد.

تأملي – يا أختي الحبيبة – ذلك جيدًا.

* عن النبي ﷺ: «**مررت ليلة أسري بي على قوم يخمشون وجوههم بأظفارهم فقلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين يغتابون الناس ويقعون في أعراضهم**»(1) وقد حذرنا الله – سبحانه وتعالى– ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن

(١) أخرجه أبو داود.

﴿يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾[١].

قال أبو زيد السهيلي: "ضرب المثل بطعن العرض بأكل اللحم، لأن اللحم يستر على العظام، والشاتم لأخيه كأنه يقشر ويكشف ما عليه من ستر وقال -تعالى-: ﴿**مَيْتًا**﴾ لأن الميت لا يحس وكذلك الغائب لا يسمع ما يقول فيه المغتاب وهو التحريم كأكل لحم الميت".

وقال ﷺ: «**من أكل لحم أخيه في الدنيا – أي ذكره بسوء – قرب إليه يوم القيامة فيقال له كله ميتًا كما أكلته حيًا**».

وقال ﷺ: «**من ذكر امرأً بشيء فيه ليعيبه به حبسه الله في نار جهنم حتى يأتي بنفاد ما يقال فيه**»[٢].

وقال ﷺ: «**الربا اثنان وسبعون باب أدناه مثل إتيان الرجل أمه وإن أربى الربا استطالة الرجل في عرض أخيه**»[٣].

وفي رواية: «**إن من أكبر الكبائر استطالة المرء في عرض رجل مسلم بغير حق**»[٤].

أختي.. يكفينا أن نتأمل هذه المعاني لنعرف خطورة ألسنتنا... وضرورة إنقاذ أنفسنا..

أختي الحبيبة.. كأنك تقولين أنا لا أقصد تحقير أو تعييب أو

(١) سورة الحجرات: الآية ١٢.
(٢) بسند صحيح.
(٣) رواه أبو داود بسند صالح.
(٤) رواه أبو داود بسند صالح.

غَيْبة لأحد ولكني فقط أريد أن أشرح موقفًا حصل بيني وبين فلانة لأعرف الحق، وتذكرين اسم الطرف الآخر.

إن هذه كلها أعذار وتبريرات فقط لتصل النفس إلى ما تريد من كشف عورة الآخرين وإظهار سيئاتهم وإظهار أن نفسها أفضل من غيرها...

أختي إن كنت صادقة في شرح موقفك وفي أنك تريدين الحق لك كان أو عليك فلتأتي الطريق السليم وماذا عليك إذا عرف اسم الأخرى أم لم يعرف، ألا تستطيعين الوصول للحكم بقولك حدث موقف معي ومع واحدة.. وتشرحين الموضوع دون تعريض أو ذكر أي صفة أو شيء يعرف التي أمامك من تقصدين؟؟؟

قال -تعالى-: ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾[1].

ومن الأولى أن تسألي أهل علم ومشورة أما أن تشتكي لكل واحدة على حدة وتكشفي لكل صديقة موضحة لها وكأنك تنتظرين حكمها المثالي ولا تثقين إلا بها وتضحكين على نفسك وعليها...

لو كنت صادقة لأخذت الحكم منها مباشرة ولا داعي لسؤال غيرها وغيرها كفى يا أختي كفى... ابحثي عن ما ينفعك واستري غيرك.

استري غيرك ليسترك الله -تعالى- وكفاك تتبعًا، ألا تعلمين أن الرسول ﷺ قال:

(١) سورة البقرة: الآية: ١٨٩.

«من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله»(١).

كفانا (فضفضات) تؤدي إلى هلاكنا دون أن ندري...

قال رجل للحسن: بلغني أنك اغتبتني، فرد عليه قائلاً: "لم يبلغ قدرك عندي أن أُحكِّمك في حسناتي".

تأملي... ليكن ميزانك في أقوالك أن **«كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»**(٢).

هذا إن كنت أنت المغتابة التي تشتكي وتغتاب أما وإن كنت مستمعة فقط فأنت مشاركة لها في الذنب مثلها تمامًا.

وإن قلت إني أعالجها وأصلحها وأعلمها الصبر والمسامحة نقول وماذا تقولين لها، اصبري سامحي.. لا تشغلي نفسك بها... كوني خيرًا منها.

إن قلت هذا الذي ظاهره جيد إنما أنت ترتكبين خطأ فادحًا لأنك بهذا وكأنك تقرين وتوافقين وتصدقين شكواها دون أن تسمعي من غيرها وهذا لا يجوز لك، لا بل وحكمت كذلك أنها أفضل من غيرها فلتسامحها. لا يا أختي لا....

إن واجبك أن تنصري أختك ظالمة أو مظلومة وهي هنا ظالمة لأنها تحكي من خلال ظنونها وما وقع في نفسها دون الإطلاع على

(١) أخرجه الترمذي بسند حسن.
(٢) رواه الأربعة.

نية غيرها هل قصدت أم لا؟؟ ثم إنك تعينينها على ظلمها إذ لم توضحي لها أن هذا لا يجوز إلا أن تسمعي من الأخرى وأن هذا ظن وحديث نفس وهو أكذب الحديث وقد نهينا عنه...

والحق أن تسمعي من الطرفين وكذلك أن تدافعي عن أختك المسلمة الأخرى وتردي عن عرضها وأخلاقها وما قيل فيها من سوء ولو نقد عمل لها أو سلوك لا يقصد من ورائه إلا التجريح.. مهما كان حبك للمتحدثة. قال ﷺ: «**من رد عن عرض أخيه في الدنيا رد الله النار عن وجهه يوم القيامة**»(١).

وقال ﷺ: «**من ذب عن عرض أخيه بالغيب كان حقًا على الله أن يقيه النار**»(٢).

وقال ﷺ: «**من اغتيب عنده أخوه المسلم فلم ينصره وهو يستطيع أدركه إثم في الدنيا والآخرة**»(٣).

أي أصابنا الذنب بالغيبة وحوسبنا على سماعها وعدم نصرة الطرف الآخر.. أو مفارقة المجلس إن نصرنا و لم يستجيبوا.

وكيف لنا بتحمل مثل هذا العذاب من عذاب النار وأكل نتن ووقوف على جسر جهنم حتى نأتي بنفاد ما نقول. نستغفرك ربي ونتوب إليك..

قال ﷺ: «**ما من امرئ يخذل امرأ مسلمًا في موضع تنتهك**

(١) رواه الترمذي بسند صالح.
(٢) رواه الترمذي.
(٣) رواه أبو داود بسند صالح.

فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه إلا خذله الله في موضع يحب فيه نصرته، وما من امرئ ينصر مسلمًا في موضع ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله في موضع يحب فيه نصرته»[1].

ولنحفظ ألسنتنا وآذاننا من ذلك.

قال الشاعر:

وسمعـــك صُـــن عـــن سمـــاع الأذى
كصـــون اللســـان عـــن النطـــق بـــه

فإنـــك عنـــد سمـــاع القبـــيح
شـــــريك لقائلـــــه فانتبـــــه

وقولي لأذنك:

ويـــا أذني إن دعـــاك الهـــوى
فإيـــاك إيـــاك أن تســـمعي

وإليك كفَّارة الغيبة:

مهلاً – أختي – فقبل أن نتحدث عن الكفارة فلنعالج الموضوع من أساسه والوقاية خير من العلاج – فلنتعرف على الأسباب الباعثة على الغيبة لنتخلص منها...

١- التشفي والغيظ.

---

(١) رواه أبو داود بسند صالح.

٢- مجاملة الصديقات في الحديث والخجل من الرد عما يقولون.

٣- إسقاط الغير ليسقط شهادته ضده إن استشعر أن ذلك سيكون.

٤- أن يزيل التهمة عن نفسه وينسبها إلى غيره.

٥- الُمراءاة أنه أفضل من غيره.

٦- الحسد وخاصة إذا كان الآخر محبوبًا.

٧- لغو الكلام بحيث لا يقيم وزنًا للحديث..

يكفي أن تعلمي أن هذه كلها نزغات شيطانية يريد أن يوقع بها بينك وبين غيرك من المسلمين، وكثيرًا ما يكون الغضب في بعض الأمور خالصًا لله ولكن يستطيل الإنسان على غيره.. ويذكر الاسم والفعل... ويرتكب ذنبًا عظيمًا في حين كان الأولى النصح والتواصي بينهما فقط..

وإن كان لابد من ذكر التجربة أو الرأي ليتعظ غيرنا ولا نسلك نفس المسلك الخاطئ.

فعلينا التأدب بالأدب النبوي «**ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا**» هكذا كان يقول رسول الله ﷺ ولم يذكر اسم أحد قط فعل فعلاً خاطئًا لم يرضه، بل كان يقول دائمًا فلانًا أو أقوامًا فعلوا كذا وكذا. وكفارة ذلك كله:

أن تكثر من الدعاء لأختها بظهر الغيب وتذكُرها بالخير في

المجالس التي ذكرهما فيها بالسوء إذا كانت قد ذكرت أمورًا ليست في أختها أو حكمت عليها من ظنوها...

كذلك إن كان ما قالته كذبًا.. فعليها توضيح ذلك لمن تحدثت معهم وأن تستسمح من اغتابتها وأن تتوب كذلك إلى الله -تعالى- من كل غيبة وبهتان. هذا باختصار شديد.

وأوصيك أختي الحبيبة التزود من ذلك بالرجوع إلى تفسير سورة الحجرات إضافة إلى كتاب (رياض الصالحين) باب (حفظ اللسان) كذلك كتاب (الغيبة والنميمة) للشيخ النابلسي.

وختامًا لهذا الموضوع أذكر لك باختصار متى تباح الغيبة وسأذكر لك الحالات المرخص فيها لئلا يلتبس عليك الأمر:

* الغيبة تباح لغرض صحيح شرعي لا يمكن الوصول إليه إلا بها وهي ستة أسباب:

١- التظلم: يجوز تظلم المظلوم لسلطان أو قاضٍ لينصفه.

٢- الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصي إلى الصواب، فيقول لمن يرجو قدرته على إزالة المنكر، فيقول فلان يفعل كذا فحاوِل زجره ونهيه عن هذا الفعل، ويكون مقصوده التوصل إلى إزالة المنكر إخلاصًا لله لا تشفيًا وتحقيرًا؛ لأنه إن لم يقصد ذلك كان حرامًا شرعًا.

٣- الاستفتاء: فيقول للمفتي ظلمني أبي أو أخي أو زوجي ونحو ذلك لتحصيل الحقوق المادية وهذا جائز، ومع ذلك فالأحوط

والأفضل أن يسأل بطريقة غير مباشرة كأن يقول: ما تقول في شخص أو زوج فعل كذا وكذا مع أهله.. فيستطيع الحصول على الحكم دون ذكر الاسم..

٤- تحذير المسلمين من الشر ونصيحتهم، وهذا واجب للحاجة في وجوه منها:

- جرح المجروحين من الرواة والشهود.

- المشاورة في مصاهرة أو مشاركة إنسان أو إيداعه أو معاملته أو غير ذلك. فيجب على المشاور أن لا يخفى حاله بل يذكر المساوئ التي فيه بنية النصيحة لا بنية أخرى فيها خطر للنفس. قال ﷺ: «**المستشار مؤتمن**»[1].

ولنقف وقفة...

ولنتأمل «**المستشار مؤتمن**» وذلك لمن جاءه يسأله ويستشيره.. أي المشاور.

ووضحنا الحالات التي يستشار فيها لا لمجرد إشباع رغبة حب الاستطلاع والتتبع... ونسمي كل شيء استشارة ونبرر لأنفسنا لنصل إلى مقصودنا السقيم وهو تتبع عورات غيرنا وكشف عوراتهم...

فقط حالات الاستشارة التي بينَّاها لا أن ندلي بما عندنا من أخبار وحكايات عن الغير بحق وبغير حق.. بسبب أو بغير سبب.

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد.

كذلك من الحالات التي يسمح بها الغيبة بيان حال المبتدع أو الفاسق لمن جاءه متفقهًا بشرط قصد النصح فقط، وإلا فلا... بل ويعزر من يفعل ذلك، وكذلك قد يحمل المتكلم الحسد.. ويلبِّس الشيطان عليه ويخيل إليه أنه نصيحة فليتفطن إلى ذلك.

٥- أن يكون مجاهرًا بفسقه أو بدعته كالمجاهر بشرب الخمر ومصادرة الناس وآخذ المكس وتولي الأمور الباطلة، فيجوز ذكره بما جاهر به من هذه المعاصي ويحرم ذكره بغيره من العيوب.

٦- التعريف بالألقاب المعروفة كالأعمش والأعرج والأصم وغير ذلك.

ولكن لو كان التعريف بغير ذلك كان أفضل وأولى.

وقد أحسن من نظم لنا تلك الأسباب في هذه الأبيات:

هـــــــاك المواضــــــــع الـــــــتي
فيهــــــــا المغيبــــــــــة تنبغـــــــــي
أولهــــــا إن استشـــــرت في الــــــزواج
فانصــــــح وقــــــل بــــــلا انحــــــراج
وإن لم تُستشــــــــر فقــــــــل لهــــــــم
بــــــــــــارك الله لكــــــــــــم
ثانيهــــــا إن قلـــــــت وللإصـــــــلاح
- مُتَّقِيًّـــا - فمـــا قلـــت مـــن المبـــاح
أمـــا الفســـــاد والإفســـــاد فاحـــــذر
وســــيف حـــــق للســـــان فاشـــــهر

ثالثهـــــا استشـــــارة الأمـــــير
عـــــن جنـــــده فكتمــــه خطـــــير
فقـــد يُعَــــيِّن الســـقيم كـــالعريف
مراقبًـــا وشـــره علـــى الصـــف يحيـــف
رابعهــــا لمـــــن فســـــوقه ظهـــــر
وجـــــاهر العصـــــيان كـــــي يُعَـــــرْ
وإن لم يظهــــر الفســــوق فاســــتر
وادعــــو الإلـــه دائمًـــا أن يغفـــر
خامســــــها الــــــتظلم والشــــــكا
مـــــن ظـــــالم لقاضـــــي الوفـــــا
واعلـــم بأنـــه مـــن حقـــه الســـماع
ممـــن ذكـــرت فاســـتمع بـــلا انقـــذاع [1]
أمـــا التقـــول والتنـــاجي والظنـــون
فمـــرض ودونـــه الأخـــرى تهـــون
فـــاحرص علـــى الســـماع ممـــن دائمًـــا
تثـــق بـــه تكـــن محصـــنًا وســـالمًا
واجزع مـــن الـــذي لا يـــدرك الكـــلام
قبـــل خروجـــه وأبـــن لـــه الخصـــام
فـــإن رجـــع عـــن غيـــه فقـــل ســـلام

---

(١) انقذاع: فحش. اقذعه وقذعه أي رماه بالفحش وشتمه. وفي الحديث: «**من قال في الإسلام شعرًا (مقذعًا) فلسانه هدر**».

وإن تمـــــــادى فاحـــــــذر اللئـــــــام

أختي الحبيبة: لا يغرنك الشيطان من وراء هذه الأسباب في استحلال غيبة أخواتك، فلا تنسي أهن مسلمات ولسن فاسقات ولا فاجرات، فإن أخطأن فالتمسي لهن الأعذار واعلمي أهن غير معصومات، ولا تتبعي لهن عثراتهن وتجتهدي في التشهير بهن على زلة أو أخرى خاصة إذا كان جانب الصلاح يشهد له عندهن، وليس معروفًا عليهن زلات ولم يصررن على ما يفعلن ولا يحاددن الله ورسوله.. لأن ذلك كله من الشيطان.

قال رسول الله ﷺ: «**لا يبلغني أحد من أصحابي عن أحد شيئًا، فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر**»[1].

صعد النبي ﷺ المنبر فنادى بصوت مرتفع: «**يا معشر من أسلم بلسانه ولم يُفْضِ الإيمان إلى قلبه، لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم، فإن من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله**»[2] ومن التتبع معرفة أحوال غيرك بدافع الحسد وتَقَصِّي أخبارها لحاجة في نفسك وليس للاطمئنان العادي فيكفيك أن تقولي كيف حال فلانة؟ وكيف صحتها؟ بلغيها تحياتي وسؤالي عنها... فكثرة الأسئلة تتبع و «**من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**»[3] صدق رسول

(١) (التاج الجامع للأصول).
(٢) أخرجه الترمذي بسند حسن.
(٣) أخرجه الترمذي بسند حسن.

الله ﷺ.

وما زاد عن ذلك فهو من الكلام الذي يهدر الوقت ولا فائدة من معرفة غيره من أخبار..

ولنتخل عن حب الاستطلاع هذا وعن التتبع، ولقد نظر ابن عمر يومًا إلى الكعبة فقال: «ما أعظمك وأعظم حرمتك والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك»(١).

ولنتعود الستر على غيرنا لئلا نفسدهم أو نكون سببًا في إفسادهم.

قال ﷺ: «**إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدهم أو كدت أن تفسدهم**»(٢).

ذاكرين قول النبي ﷺ أن «**من ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة**».

أختي الحبيبة.. اعتقد أننا الآن عرفنا حق اللسان وكيفية حفظه وبالتالي عرفنا كيف نبعد عن نقل الكلام بين الناس للإيقاع بهم أو الوشاية.. وهذا هو ما يسمى بالنميمة فهي من أخطر الأعمال على المسلم إذ إن أصحابها يحشرهم الله -تعالى- في وجوه الكلاب. قال ﷺ: «**لا يدخل الجنة نمام**»(٣).

(١) التاج الجامع للأصول.
(٢) أبو داود بسند صحيح.
(٣) رياض الصالحين.

والنمام كل من نقل قول الغير إلى المَقول فيه وكشف ما يكره كشفه، سواء كره المقول عنه أو المنقول إليه، ويؤدي ذلك إلى إفشاء السر وهتك الستر عما يكره كشفه، فيجب علينا أن نسكت عن كل ما نرى من أحوال الناس مما يكره الكلام فيه.

«**كفى بالمرء كذبًا أن يحدث بكل ما سمع**»[١] صدق رسول الله ﷺ.

هذا مجرد النقل فكيف إن كان ينم عن نقص أو عيب في المحكي عنه فيكون المتكلم قد جمع بين الغيبة والنميمة.

قال ﷺ: «**الهمازون الذين يغتابون الناس، واللمازون الذين يذكرون عيوب الناس، والمشَّاؤون بالنميمة الباغون للبرآء العنت يحشرهم الله في وجوه الكلاب**»[٢].

الباغون للبرآء أي الطالبون لعيوب الشرفاء الساعون بالفساد وحب الشقاق.

وعن ابن عباس –رضي الله عنهما– أن رسول الله ﷺ مر بقبرين يعذبان فقال: «**إنهما يعذبان وما يعذبان في كبير، بلى إنه كبير؛ أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة، وأما ألآخر فكان لا يستتر من بوله**»[٣] وفي رواية «**لا يستنزه**».

ووضح لنا أن «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه**

(١) كتاب التاج الجامع للأصول (باب حقوق المسلم).
(٢) كتاب التاج الجامع للأصول (باب حقوق المسلم).
(٣) كتاب التاج الجامع للأصول (باب حقوق المسلم).

ويده»[١].

أختي الحبيبة.. فلنحذر كل كلمة تخرج من أفواهنا فالكلمة أمانة ورُبَّ كلمة ترفعك أو تنزل بك إلى ما لا تحبين..

قال ﷺ: «**إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله –تعالى– لا يلقي لها بالاً يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله –تعالى– لا يلقي لها بالاً يهوى بها في جهنم**»[٢].

فالحذر كل الحذر – أختي الحبيبة – من هذه المزالق ولنتحل بالعفو والصفح ولننشغل بعيوبنا.

– ولنتأمل معًا قول أبي بكر الصديق عندما عاتبه ربه قائلاً: ﴿**وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ**﴾[٣].

فأسرع قائلاً: "بلى يا ربي أحب أن يغفر لي" وتاب واستجاب لربه وانتهى عما فعل...

– ولننهج نهج أبي ضمضم ولعلك تتساءلين من أبو ضمضم؟ فأجيبك.

قال النبي ﷺ: «**أيعجز أحدكم أن يكون مثل أبي ضمضم؟**» قالوا: ومن أبو ضمضم؟ قال: «**رجل فيمن كان قبلكم كان إذا أصبح قال: اللهم إني جعلت عِرضي لمن شتمني**» أي إني تصدقت

---

(١) كتاب التاج الجامع للأصول (باب حقوق المسلم).

(٢) أخرجه البخاري.

(٣) سورة النور: الآية ٢٢.

بعرضي على عبادك فليس لي على أحد حق الانتصار [1].

أختي الحبيبة... أدعو الله –سبحانه وتعالى– وأرجوه أن ننتفع بكل ما جاء به إسلامنا الحنيف ونتحلى بالأخلاق الرحمانية ونتأسى بالهدي النبوي فنكون صورة مشرقة ناطقة بالإسلام وأخلاقه لكل من حولنا.. فقد كان – عليه الصلاة والسلام– يفعل أكثر مما يقول ولنسارع إلى توبة نصوح سائليه –تعالى– القبول، ولنبدأ بتطبيق العفو وكظم الغيظ ونكون من المحسنين فلا نكون بسلوكنا فتنة لغيرنا... ولا سيما إن كنتِ أختي الحبيبة ممن يحمل لواء الإسلام ويدعو إليه..

فابتعدي عن كل هذه التصرفات والسلوكيات التي حذَّرنا الله ورسوله منها.. لئلا تسيئي إلى الإسلام من حيث لا تعلمين؛ لأنك إذا كنت لا تستطيعين النزول عند هذه الأوامر وتتحلين بالأخلاق الربانية... إن كنت لا تنتهين وتحبين الانتصار لنفسك فاحذري العاقبة وأنت هكذا فتنة لمن حولك... تقولين كيف؟

نعم يكفي إذا نصحت أن يقال لك: إذا كنت أنت لا تستطيعين تطبيق ذلك فكيف تنصحيننا وتوصيننا.. فنحن أقل علمًا ولا نستطيع ذلك فتتسببين في فتنتهم..

لأنك لابد أن تكوني قدوة.. فأين القدوة التي ستؤدينها لأولادك ولكل من حولك.. فاجتهدي في إصلاح نفسك لا في كثرة القراءة والاطلاع واتركي العلم لأهله..

(١) رواه أبو داود بسند صالح.

وإياك أن تغرك الأماني فإنها بضاعة الموتى وتأملي قول الإمام الحسن البصري:

"هيهات هيهات، أهلك الناس الأماني، قول بلا عمل، ومعرفة بغير صبر، وإيمان بلا يقين.. مالي أرى رجالاً ولا أرى عقولاً، وأسمع حسيسًا ولا أرى أنيسًا.

دخل القوم والله ثم خرجوا، وعرفوا ثم أنكروا، وحرموا ثم استحلوا، إنما دين أحدكم لعقة على لسانه، إذا سئل أمؤمن أنت بيوم الحساب؟ قال: نعم، كذب ومالك يوم الدين".

أختي الحبيبة... نظرة إلى واقعك.. ومحاسبة يومية بمراجعة رصيدك قبل أن يأتي يوم تقعين لا تدركين فيه توبة ولا أوبة. يوم لا ينفع نفس إيمانها لم تكن آمنت من قبل.. "عش ما شئت فإنك ميت، واعمل ما شئت فإنك مجزي به، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعلم أن شرف المؤمن قيام الليل، وعزه استغناؤه عن الناس"(١).

ولتبحثي عن صحبة طيبة تلتزمي معها المنهج السوي، قال -تعالى-: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾(٢).

ولنعقد عقد إخاء في الله ولله متمثلين هذا العقد الذي تم بين

(١) كتاب التاج الجامع للأصول (باب حب المسلمين).
(٢) سورة الكهف: الآية ٢٨.

الله -تعالى- وآدم الطَّيْلا قال الحسن:

"أوحى الله إلى آدم الطَّيْلا أربع كلمات وقال: فيهن جماع الأمر لك ولولدك.

واحدة لي، وواحدة لك وواحدة بيني وبينك وواحدة بينك وبين الخلق.

فأما التي لي: فتعبدني لا تشرك بي شيئًا.

وأما التي لك: فعملك أجزيك به أفقر ما تكون إليه.

وأما التي بيني وبينك: فعليك الدعاء وعلي الإجابة.

وأما التي بينك وبين الناس: فتصحبهم بالذي تحب أن يصحبوك به".

من هنا علينا بمجاهدة أنفسنا لنسير بها معًا على صراطه المستقيم... ونخلصها من كل الأهواء ومن شياطين الإنس والجن أجمعين.

نعم شياطين الإنس والجن؛ لأن الشيطان هو كل من استشرى شره وقام يدعو للشر سواء كان إنسًا أو جنًا، فكل من يدعونا وينصحنا بغير ما جاء به نبينا الكريم -عليه الصلاة والسلام- فهو شيطان.

ولندخل في السلم كافة بتحقيق معنى لا إله إلا الله، وأنصحك أختي الحبيبة بقراءة تفسير هذه الآية الكريمة من كتاب (في ظلال

القرآن) لسيد قطب.

وبالنسبة لعلاقتنا فلنجعل قلوبنا صافية رقيقة على من حولنا...

قال ﷺ:

«**إن لله تعالى في أرضه آنية وهي القلوب.. فأحبها إليه تعالى أرقها وأصفاها وأصلبها ثم فسرها فقال:**

أصلبها في الدين.

وأصفاها في اليقين.

وأرقها على الإخوان»[١].

ولنلجأ دومًا لله بالدعاء سائليه العون والثبات وأن يجعلنا من السعداء لا من الأشقياء فإنه «**لا يرد القدر إلا الدعاء**» صدق رسول الله ﷺ.

وقد كان عمر بن الخطاب ﷺ متمثلاً ذلك ضارعًا لله تعالى.. قائلاً: "اللهم إن كنتَ كتبتني في أم الكتاب من الأشقياء فامحه واكتبني من السعداء".

جعلنا الله وإياك وكل المسلمين والمسلمات من خير من يستمع القول فيتبع أحسنه..

وحَّد الله قلوبنا وألَّف بينها وجمعنا على أتقى قلب وعافانا من خشوع المنافقين.. خشوع الجسد الذي لا يكون القلب فيه

(١) رواه أحمد.

خاشعًا...

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾.

ولتكن هذه الكلمات تذكرة لي ولك ولكل من نعرف في كل مكان..

ولنجدد إيماننا بقول لا إله إلا الله محمد رسول الله ونقيمها في أنفسنا مشاعرًا ونترجمها على جوارحنا سلوكًا، ليكن مخبرنا دومًا مع مظهرنا وباطننا كظاهرنا.

ولا تنسي أبدًا أن "القاعدة الرئيسية للتربية الإسلامية التي يتم بها كل شيء، ومن دونها يصبح كل شيء خواء؛ هي إيجاد الصلة بين القلب البشري وبين الله، الصلة الدائمة التي تدفع القلب بالرجوع إلى الله في كل لحظة واستشارة دستوره في كل أمر.

فإنه لا ضمان للخير الحقيقي في هذه الأرض إلا بعقد الصلة الحية الواصلة بين القلب البشري والله. لا ضمان لإقامة الحق والعدل الأزليين إلا بالتقاء البشر كلهم عند خالقهم ومن ثم استشعار الرابطة الإنسانية الحقيقية التي تربط الجميع.

وإذ يدرك الإسلام هذه الحقيقة فإنه يجعل العبادة هي القاعدة الكبرى ومنها يستمد نظام الحياة كله.

فالفرد في كل لحظة يربيه الإسلام على أن يكون متصلاً بالله.. وتعامله مع الله وخشيته من الله وحبه لله ورجوعه إلى منهج الله في

كل صغيرة وكبيرة من شؤون النفس وشؤون الحياة"[١].

وهذه هي العبادة الحقة في مفهوم الإسلام. هي أن تسير في الطريق والقلب يحمل الشحنة الحية الواصلة التي تدفعه إلى العمل تدفعه إلى الأمام.. مع التزود بين الحين والحين، هذه الشحنة الحية التي تعبئ القلب فتكون الهادي له في طريقه.. تهديه وهو في خلوته يفكر ويشعر، وتهديه وهو قائم يعمل بيديه وجسمه، وتهديه وهو يلقى إخوانه في البشرية ويتعامل معهم، تهديه وتضيء له كالقبس ظلمات الطريق فلا يتعثر وإن تعثر لا يجثم في عثرته، وإنما ينفض عنه التراب ويقوم ما دامت الشحنة حية تضيء... والإسلام العمل هو العبادة ما دام القلب متجهًا فيه إلى الله...

فمنهج العبادة الذي يرسمه لنا الإسلام ويقيم عليه أسسه التربوية ويشترط فيه الصدق مع الله، والتقوى لله.. أي الصلة الدائمة بالله[٢] هذا المنهج هو ما قاله –تعالى–:

﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآَتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ

---

(١) منهج التربية الإسلامية بتصرف.

(٢) منهج التربية الإسلامية بتصرف.

أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[١].

نعم إنه المنهج الذي يوجد في القلب الخشية الدائمة لله والمراقبة الدائمة في كل عمل وكل فكرة وكل شعور.

إنه المنهج الذي يملأ القلب بالحب لله والتطلع الدائم إلى رضاه.

إنه المنهج الذي يحقق الطمأنينة إلى الله في السراء والضراء، وتقبُّل قَدَره بالتسليم والرضا..

إنه المنهج الذي ليس له هدف إلا وصل القلب البشري بالله في كل حالاته وعلى كل أحواله اتصالاً حيًا بالذكر والعمل[٢].

قال ﷺ: «**مثل الذي يَذكر ربه والذي لا يذكره ربه مثل الحي والميت**»[٣].

وقال ﷺ: «**مثل البيت الذي يُذكر الله فيه والبيت الذي لا يذكر الله فيه مثل الحي والميت**»[٤].

انظري أختي الحبيبة وتأملي هذه المعاني الرائعة مثل الحي والميت...

قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾[٥].

(١) سورة البقرة: الآية ١٧٧.
(٢) انظر منهج التربية الإسلامية.
(٣) رواه البخاري.
(٤) رواه مسلم.
(٥) سورة البقرة: ألآية ١٥٢.

وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾(١).

وقال: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾(٢).

وقال ﷺ: «**سبق المفردون**» قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: «**الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات**»(٣).

وكل قول أو فعل يبتغي به وجه الله فهو ذكر.. ما دام القلب متجهًا فيه إلى الله.

قال رسول الله ﷺ:

«**يقول الله – عز وجل–: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه، وإن تقرب إلي شبرًا تقربت إليه ذراعًا، وإن اقترب إليَّ ذراعًا اقتربت إليه باعًا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة**»(٤).

ومعنى ذلك كلما أقبل العبد على الله –تعالى– بقليل الطاعة أقبل الله عليه كثيرًا، وكلما زاد العبد في الطاعة زاد إقبال الله عليه بكل خير للدنيا والآخرة.

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٤١.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٣٥.

(٣) التاج الجامع للأصول بإسنادها.

(٤) حديث قدسي (كتاب الأحاديث القدسية).

وقال ﷺ:

«**ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق (الفضة) وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا: بلى يا رسول الله قال: ذكر الله تعالى**»[١].

وعن أبي سعيد أن رجلاً سأل النبي ﷺ أي العبادة أفضل درجة عند الله يوم القيامة؟ قال: «**الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات**». قلت: يا رسول الله، ومِن الغازي في سبيل الله؟! قال: «**لو ضرب بسيفه في الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دمًا لكان الذاكرون الله أفضل منه درجة**»[٢].

فلتستحضري.. أختي الحبيبة.. ذكر الله في كل شأن من شؤون حياتك، فقد كان النبي ﷺ يذكر الله على كل أحواله...

ولتراقبي الله وتخلصي في أعمالك فإن ذلك ذكر..

فالذكر أن تراقبي الله في كل ما تتلفظين وتعملين وتنظري هل هذا خالص له أم لا فتحققي محبته وذكره في قلبك، ولتحمديه دائمًا وتستغفريه كل حين، فحياة المؤمن بين الحمد والاستغفار.

وفي النهاية أسأل الله أن يجعلنا من المتقين المخلصين وأن ينفعنا بما تذاكرناه ويتقبل منا إنه سميع مجيب.

---

(١) رواه الترمذي.

(٢) رواه الترمذي.

ولا تنسيني يا أختاه من دعائك الطيب... فالدعاء بظهر الغيب من الدعاء المستجاب.

"سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين".

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* ولنبدأ – أختي الحبيبة – منطلقين من كل المعاني السابقة.. ومستشعرين هذه الأحاديث الجليلة...

* قال رسول الله ﷺ:

«من كانت له مظلمة لأحد من عِرضه أو شيء فليحلله منه اليوم قبل ألا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه»[١].

* قال رسول الله ﷺ:

«ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان؛ أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله تعالى، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار»[٢].

وختامًا:

"اللهم اجعل حبك أحب إلينا من أنفسنا ومن الماء البارد حين

(١) رواه البخاري.
(٢) رواه الخمسة إلا أبو داود.

الظمأ".

"اللهم إنا نسألك حبك وحب من يحبك وحب عمل يقربنا إلى حبك".

"اللهم حبك نرجو وإليه نسعى فتقبل منَّا وأعنَّا".

وقبل أن نفترق أخواتي في الله في كل مكان أسأل الله -تعالى- أن يجعلنا من عباده الصالحين وأوليائه المخلصين المصطفين الأحباب المتحابين المتآخين فيه الذين يظلهم في ظله يوم لا ظل إلا ظله ومن المتجالسين مجالس الذكر الذين تحفهم الملائكة وتستغفر لهم وتناديهم ألا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون اللهم آمين.

سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.

أختكم في الله

نجـــاة حافـــظ

المدينة المنورة

الخميس ١٧ – شعبان – ١٤١٢هـ

الفهرس